الدراسات

حول الضبط البيبليوجرافي لأدب المهجر ومصادره

فؤاد فرسوني

توطئة : يشكل الضبط البيبليوجرافي أداة جوهرية لحصر التراث الفكري بشتى أوعيته، وتأتي أهميته من :

١ ــ مساهمته في حفظ التراث الفكري من الاندثار والضياع والتبدد.

٢ ــ مساعدة المهتمين في التعرف على النتاج الفكري.

٣ ــ تزويده للبيانات البيبليوجرافية عن أوعية المعلومات.

٤ ــ تيسير وتدعيم سبل وأواصر التعاون الثقافي على شتى المستويات.

٥ ــ مساندة البحث والتنمية في هذا العصر الذي تزايدت فيه أوعية وأهمية المعلومات .

مستويات الضبط البيبليوجرافي متعددة، فهي تتدرج من المستوى الوطني في ممارسة حصر النتاج المنشور في وطن أو قطر معين، إلى المستوى القومي في ممارسة حصر النتاج المنشور بلغة قوم معينة، ثم المستوى العالمي في ممارسة حصر النتاج على مستوى دول العالم بأسره، ويأتي التعرض للضبط البيبليوجرافي لأدب المهجر ليأخذ مكاناً وسطاً متصلاً بالمستوى القومي لممارسات الضبط البيبليوجرافي .

ويتخذ الضبط البيبليوجرافي على المستوى القومي من البيبليوجرافية القومية وسيلة له، والبيبليوجرافية العربية القومية عمل نال اهتمام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ أكثر من عقد ونصف من الزمن، إذ منذ أوائل عام ١٩٧١، بادرت المنظمة المذكورة إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ مشروع البيبليوجرافية العربية بنتاج أبناء الأقطار العربية، فقامت بناء على اقتراح من اللجنة الاستشارية للمنظمة في قطاع التوثيق والإعلام بدعوة لجنة فنية لصياغة الخطوط العريضة لتنفيذ المشروع، كما قامت بالاتصال بالجهات المسئولة عن إصدار [البيبليوجرافية الوطنية] في الأقطار العربية وغيرها لتزويدها بقوائم المطبوعات الوطنية .

وفي نهاية سنة ١٩٧٢ خرجت أولى إصدارات البيبليوجرافية العربية تحت عنوان : **النشرة العربية للمطبوعات**؛ وقد ورد في تقديم هذه البيبليوجرافية أنها «تمثل تسجيلا للنشاط الفكري العربي ومرآة لثقافة الأمة العربية وإسهامها في الانتاج الفكري العالمي».

ولم توفر البيبليوجرافية العربية المومأ إليها آنفا أي قدر من الحصر للمطبوعات التي ينتجها أو انتجها أبناء العرب في المهجر :

١ ــ لأنها اقتصرت على تغطية المطبوعات الصادرة في الأقطار العربية حيث أنها كانت بيبليوجرافية حصرية ضمت الانتاج الفكري المنشور في إطار الحدود الجغرافية للأقطار العربية وهي في ذلك تعتمد القواعد التي وضعتها اليونسكو في معالجتها لقضايا الضبط البيبليوجرافي والبيبليوجرافيا الوطنية، بيد أن الأخذ بهذه القواعد قد أغفل الأخذ بعين الاعتبار الانتاج الفكري لأبناء الأقطار العربية في المهجر.

٢ ــ أن النشرة العربية للمطبوعات صممت لتكون بيبليوجرافية قومية جارية، ومعنى ذلك أنها لم تتعرض بشكل

راجع للمطبوعات العربية الصادرة قبل سنة ١٩٧٠، هذه السنة التي استهلت نشرة المطبوعات العربية تغطية المطبوعات العربية الصادرة فيها .

في ذات الوقت والظرف، فإن أدب المهجر الذي تمخضت وتتمخض عنه قرائح أبناء الأقطار العربية من المغتربين لم تتوفر لتغطيته في بلدان الاغتراب أداة شاملة، كما أن البيليوجرافيات الوطنية لتلك البلدان لم تعمل على حصره، ومن هنا تبرز مشكلة الضبط البيليوجرافي لأدب المهجر، وهذه المقالة ترمي لطرح وجود هذه المشكلة والتعرض لبعض جوانبها الهامة، والتطرق لمصادر الضبط البيليوجرافي في هذا الإطار. والغريب أن تغفل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قضية الضبط البيليوجرافي لأدب المهجر الذي أنتجه وينتجه أبناء الأقطار العربية في مهاجرهم، بالرغم من أخذها بعين الاعتبار قضية الضبط البيليوجرافي للمخطوطات العربية الاسلامية التي انتجتها أذهان المفكرين العرب المسلمين وتشتتت وتوزعت في أقطار شتى عربية وأوربية وأمريكية وأفريقية وأنجزت أعمال هامة في ذلك المجال، من تصوير وتوفير المخطوطات العربية وتنظيمها في مكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، واستصدار مجموعة قيمة من البيليوجرافيات التي رمت لحصر المصورات من المخطوطات العربية في تلك المكتبة، وقد كان من الممكن أن يتخذ إجراء مقارب في حقل أدب المهجر، غير أن مشكلة حصره ما زالت مستمرة، بالرغم من صدور الطبعة الأولى من كتاب جورج صيدح: **أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية** سنة ١٩٥٦ عن جامعة الدول العربية، وقد ضم الكتاب المحاضرات التي القاها المؤلف في : **معهد الدراسات العربية العالية** في القاهرة في ذلك الوقت من منتصف الخمسينات ، فهذا الكتاب في المقام الأول إسهام جيد من جانب صيدح وسنتعرض له بمزيد من الكلام فيما بعد؛ وقد تطرق صيدح لمشكلة الضبط البيليوجرافي لإرث أدب المهجر الذي يتهدده الاندثار؛ فقد كتب: **إن ثروة علمية أدبية خلفها المهاجرون تتبدد في أميركا...؛**

ــ البعد الجغرافي للضبط البيليوجرافي لأدب المهجر :

بالرغم من أن المهاجرين العرب قد توزعتهم أقطار شتى، فإن أدب المهجر من حيث بعده الجغرافي لا يطلق إلاّ على انتاج ابناء الأقطار العربية في المهاجر الأمريكية الشمالية والجنوبية.

أ ــ ففي أمريكا الشمالية، وفد المهاجرون العرب إلى :
ــ الولايات المتحدة الأمريكية.
ــ وكندا
ــ والمكسيك

ب ــ وفي أمريكا الجنوبية، حل المهاجرون العرب في :
ــ الأرجنتين
ــ والبرازيل
ــ والاكوادور
ــ وفنزويلا
ــ وتشيلي
ــ وبوليفيا

ج ــ وفي أمريكا الوسطى جاء المهاجرون العرب :
ــ كوبا
ــ وكولومبيا
ــ وسانتو دومينغو

ومن هنا فإن الكُتاب الذين عالجوا أدب المهجر قد اسقطوا من اعتبارهم الانتاج الفكري للمغتربين العرب لغير المهاجر الأمريكية ، وبخاصة أوربا، بالرغم من أن أعمالاً بيليوجرافية متعددة صدرت وشملت المطبوعات العربية الصادرة في أوروبا في فترات مختلفة سواء لمستشرقين أو مستعربين أو لمؤلفين عرب ومن هذه الأعمال : Bibliotheca Arabica الذي أصدره C.F. Schurrer ليغطي ما صدر من سنة ١٥٠٥ إلى سنة ١٨١٠، بالاضافة إلى Orientalische Bibliographie الذي اصدره Lucian Sherman محاولا تغطية ما طبع بالعربية وغيرها من اللغات الشرقية بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩١٠ في اقطار أوربا والعالم العربي والاسلامي، ثم عمل Victor Chauvin الذي أصدر Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes Publies dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885.

وقد صدر من هذه البيليوجرافية اثنا عشر عدداً في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٩٢٢ ، وتوقفت سنة ١٩١٣ لوفاة مصدّرها .

وبالنسبة لأدبنا العربي في المهاجر الأمريكية فهو أدب «عربي البذار، عربي الأرومة، عربي الجنى .. إنه رسالة عربية لم يلصق بها الغرب إلى طابع البريد ... ، إنه من نتاج الأمة العربية ...»، إنه يضاهي أرق الآداب العالمية؛ وقد تأثر هذا الأدب بالبيئة الأمريكية.

وقد صدر أدب المهجر في أغلبه عن المغتربين من الشام وبخاصة سوريا ولبنان وفلسطين بالاضافة للوافدين للمهجر الأمريكي من مصر، غير أن الغالبية العظمى من الانتاج الأدبي قد صدرت عن أبناء سوريا ولبنان وفلسطين.

البعد الموضوعي للضبط البيليوجرافي لأدب المهجر: تركز الكتب التي صدرت معالجةً للانتاج الفكري في «المهجر الشمالي، والمهجر الجنوبي» على موضوع واحد وهو الأدب بشقيه النثر والشعر، ونلاحظ تكريس اهتمام أكبر واصدارات أكثر حول الشعر المهجري، بيد أن معالجة الكتاب للنثر المهجري في كثير من الاصدارات جاءت غنية ثرة، متناولة شتى فنون ذاك النثر وبخاصة المقالة، والقصة، والمسرحية، والسيرة ، والرسائل، والأمثال والحكم والصحافة.

البعد الانتاجي للضبط البيليوجرافي لأدباء المهجر :

أسهم أدباء المهجر الشمالي في إثراء الأدب العربي مساهمة أكبر وأعمق أثرا من زملائهم في المهجر الجنوبي رغم كثرتهم هنا.

ومن ألمع أسماء أدباء المهجر الشمالي أسماء شتى ضمت :

- جبران خليل جبران
- ميخائيل نعيمة
- ايليا ابو ماضي
- نسيب عريضة
- رشيد ايوب
- عبد المسيح حداد
- ندره حداد
- وليم كاتسفليس
- أمين الريحاني
- أمين مشرق
- مسعود سماحة
- نعمة الحاج

والأسماء الثمانية الأولى أصحابها أعضاء الرابطة القلمية التي أنشئت في نيويورك سنة ١٩٢٠، وقد حملت نتاجهم الأدبي **مجلة الفنون** التي كان يملكها نسيب عريضة، ثم **جريدة السائح** التي كان يملكها عبد المسيح حداد، وقد ظل النشاط الأدبي لأعضاء الرابطة القلمية مزدهرا إلى أن انفضت الرابطة سنة ١٩٣١، وقد ضرب أدباء الرابطة القلمية في شتى فنون الأدب.

وفي المهجر الجنوبي، حمل الشاعر شكر الله البحر صاحب **مجلة الأندلس الجديدة** في ريو دي جانيرو بالبرازيل فكرة لمّ شمل أدباء العرب في المنطقة، ووجد الدعم والتأييد من الشاعر ميشال المعلوف خال الشعراء الأخوة الثلاثة فوزي وشفيق ورياض المعلوف ، وكانت الرابطة سنة ١٩٣٣ واتخذت اسم «العصبة الأندلسية» التي انطلق صوت اصحابها وأدبهم في رسالتها: **مجلة العصبة**، ومن أعضائها المؤسسين بالاضافة لميشال المعلوف وشكر الله البحر داود شكور، نظير زيتون، يوسف البعيني ، جورج حسون معلوف كما كان من أعضائها نصر سمعان، حسني غراب، يوسف غانم، حبيب مسعود، اسكندر كرباج، أنطون سليم، وقد انضم للعصبة شفيق المعلوف، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وأخوه قيصر سليم الخوري، المعروف بالشاعر المدني، وتوفيق قربان، ونعمة قازان، والياس فرحات، وعقل البحر، ونجيب يعقوب، وجورج أنطون كفوري، وأنيس الراسي، وجورج الخوري كرم، وجبران سعادة، ثم توفيق ضعون، ورياض المعلوف، وجورج ليان، وسلمى صائغ، وفؤاد نمر، وقد خلّف هؤلاء الأدباء آثارا عديدة في الشعر، والسيرة والرواية والأقصوصة والمقالة .

وقد أسهم في هذه الفنون الأدبية أدباء آخرون من خارج العصبة الأندلسية ومن خارج الرابطة القلمية أيضا، ومن هؤلاء مثلا في المهجر الشمالي أمين الريحاني ونعمة الحاج ومسعود سماحة وأسعد رستم، وأمين مشرق وحبيب ابراهيم كاتبه وسليمان داود، بالاضافة لنعوم مكرزل مؤسس **جريدة الهدى**، وسلوم مكرزل، ونجيب دياب صاحب **مرآة الغرب**، وراجي الظاهر صاحب **جريدة البيان**، وقد لمع في الجنوب الشاعر فوزي المعلوف، والياس طعمه الذي يكنى بأبي الفضل الوليد، ومحمود شريف المصري، وموسى كريم، ومريانا دعبول فاخوري وجورج صيدح وزكي قنصل وشقيقه الياس قنصل ويوسف صارمي وعبد اللطيف الخشن وجورج كعدي، وكذلك الشاعر

قيصر المعلوف صاحب الندوة الأدبية «رواق المعري» التي كان من اعضائها جورج عساف، ونعوم لبكي، وخليل كسيب. ويوسف ناصيف ضاهر، وفارس نجم، وأنيس يواكيم الراسي، ووديع فرح، وأسعد بشارة، واسطفان غلبوني، بالاضافة لأنيس شكور صاحب جريدة الميماس، بالاضافة لخليل سعادة، ورشيد عطية، وقد ضمت صحف المهجر الجنوبي **كالعصبة ، والشرق، والمراحل** أسماء أخرى لأدباء غزيري الانتاج منهم فارس دبغي، فيليب لطف الله، وموسى الحداد وسامي عازر وناصر شاتيلا، وجورج قدوم، وسعيد اليازجي ووهيب عودة، ويوسف فاخوري، وأسد موسى، وتوفيق بربر، وجبران مسوح والشاعر الطبيب جورج صوايا، والأديب جورج عساف رئيس تحرير **جريدة السلام** في بيونس أيرس.

وقد كان للمرأة دورها في أدب المهجر بالرغم من محدودية هذا الدور ومن بين الأسماء التي نذكرها مثلاً سلمى صائغ التي نالت شهرتها عن طريق صحافة المهجر، وهي مؤلفة كتاب **ذكريات وصور**، وقد كانت عضوا في العصبة الأندلسية، وكذلك السيدة ماري يني عطا الله صاحبة **مجلة ميغرفا**، والسيدة مريانا دعبول فاخوري صاحبة **مجلة المراحل** التي كانت تصدر في سان باولو ورأس تحريرها حبيب مسعود، الذي كان رئيساً لتحرير **مجلة العصبة** طوال حياتها؛ وقد كانت مريانا تكتب في معظم أعداد مجلتها في النقد والاجتماع والأدب؛ وأما السيدة أنجال عون شليطا الأديبة والفنانة فكانت تنشر انتاجها في أكثر من دورية وبخاصة **مجلة المراحل**، وكتبت في النقد والاجتماع، وأما السيدة سلوى سلامة فكانت صاحبة **مجلة الكرمة** التي عاشت أكثر من ربع قرن؛ وكانت سعاد مرهج سورية تتقن الأسبانية والفرنسية والانكليزية، وقد أسهمت في ترجمة عدة مؤلفات إلى الأسبانية مثل **عصفور من الشرق**/ لتوفيق الحكيم، وكذلك **أهل الكهف وشهرزاد** ؛ من بين أديبات المهجر كذلك ماريا دلمار، وألفا شمس ، ومن الأديبات المهجريات في الأورغواي الكاتبة نسيمة نصر، والشاعرة ليلى نفاع.

البعد اللغوي للضبط البيبليوجرافي لأدب المهجر :

نشأ ابناء المهجر في بيئات غربية جديدة، ولم تكن متوافرة لهم معاهد ومدارس تعنى بالعربية وآدابها ، وبالرغم من ذلك فقد تمخضت قرائحهم عن أدب جميل يزين أدب العربية ، وقد انصرف شطر من أدباء العرب في المهجر إلى الانتاج بلغات الأقطار التي عاشوا فيها، ومن هؤلاء من نالوا شهرة واسعة وقد كتبوا بالانجليزية ، والأسبانية والبرتغالية .

وقد كان من بين هؤلاء جبران خليل جبران، وأمين الريحاني، وميخائيل نعيمة، ووليم كاتسفليس، وجورج قدوم ورياض معلوف وموسى كريم بالاضافة لإسهامات هؤلاء الأدباء الأدبية باللغة العربية .

ومن الذين اقتصرت إسهاماتهم الأدبية على اللغات غير العربية الشاعر جميل المنصور حداد أحد أمراء الشعر في امريكا الجنوبية، وقد منحه المجمع العلمي البرازيلي جائزة الشعر، ومن دواوينه **صلوات سوداء**، وكذلك الشاعر الأديب سلمون جورج صاحب كتاب **جمال الموت**، والأديب ماريو نعمة، وإميل فرحات، وداود نصر، وساسيل غنام ، وديفا جبور ومنيرفا سعادة، وكذلك الروائي الأديب نعيم أبو سمرة؛ وأما **فؤاد نمر** فكان يجيد العربية ككبار أعلامها، وقد وضع كتابا في شوارد اللغة البرتغالية وصلتها باللغات الشرقية وبخاصة العربية؛ وممن كتب بالاسبانية جورج صيدح صاحب كتاب: **أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية** . ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤. وكذلك حبيب اسطفان الذي كتب واتقن الاسبانية والبرتغالية إلى جانب الفرنسية والانجليزية.

وأما الفونس عواد فكان يصدر: **مجلة الأمير** في المكسيك بالأسبانية؛ وكان أسطفان فياض يكتب كذلك بالأسبانية، وكان جوزيف لبكي يكتب ويصدر جريدته: **صوت لبنان** في فنزويلا بالأسبانية، وأما الكاتب الفلسطيني خلدون **نويهض** فخطيب ومؤلف وصحافي ويتقن الانجليزية والأسبانية، وهو مقدسي الأصل؛ هاجر لفنزويلا سنة ١٩٥١، ويصدر في مراكايبو بفنزويلا مجلة: **الأندلس الجديدة** بالأسبانية، ووضع مؤلفات بهذه اللغة مثل كتاب : **Arabia** .

وفي الاكوادور عاش الكاتب الدكتور جورج قدوم الذي ألف بالاسبانية إلى جانب العربية .

وفي تشيلي حيث توجد جالية عربية ذات شأن معظمها من أهل فلسطين ومن الذين كتبوا ونشروا بالأسبانية في هذه البلاد جميل شوحي الذي أصدر أكثر من ستة عشر كتابا بالاسبانية بالاضافة للعربية وساهم بنقل صور مشرقة للأدب العربي من

خلال الترجمات التي أعدها في هذا الحقل بالأسبانية، والصحافي جرجس أبو صباح صاحب جريدة: **العالم العربي** بالأسبانية، وأما الشاعر جورج كعدي فقد أصدر أعمالاً شعرية بالأسبانية في تشيلي منها مجموعة موسومة بعنوان : **أحلام** .

وفي الأورغواي كتبت ليلى رزق الله نفاع بالأسبانية وترجمت إليها بعض أعمال جبران خليل جبران.

أما خليل فارس الياس الصحافي المهجري المستقر في كوبا فكان يصدر مجلة **الشرق الأوسط** بالأسبانية؛ وكذلك الصحافي سليمان ابو شاكر، ونقولا هزيم حيث كتبا بالأسبانية.

وكان لموسى كريم دور نشط في التأليف والترجمة من العربية إلى البرتغالية وبخاصة في البرازيل، ويصدر كريم مجلة واسعة الشهرة هي **الشرق** بالعربية، وعقب اندلاع الحرب العالمية الثانية اقتصر النشر لمجلة الشرق على اللغة البرتغالية، وقد صدرت الشرق باللغتين العربية والبرتغالية بعد انتهاء الحرب .

وأما توفيق قربان فكان من أوسع المهاجرين معرفة باللغات غير العربية التي تشمل : الانجليزية ، البرتغالية، والفرنسية والأسبانية، الايطالية ، الألمانية والتركية واليونانية والعبرية.

وأما سعيد البابا الفلسطيني الذي وفد البرازيل من رام الله فقد نشر في سان باولو **أعمالاً أدبية** رفيعة وله إسهاناته الجيدة في ترجمة آثار الأدب العربي المنتقاة للبرتغالية، ومنها ترجمته لكتاب : بربارا يونغ **«هذا الرجل من لبنان»** وهو حول جبران خليل جبران.

وقد صدرت دوريات مهجرية عديدة بلغات غير عربية شتى في نفس الوقت كجريدة **بيت نهرين** ومع مرور الوقت طغت حركة الكتابة باللغات غير العربية بين ابناء العرب في المهجر، بل أن الصلة بين الأجيال الجديدة واللسان والضمير العربي أصبحت واهية إن لم تكن غائبة على وجه الإجمال الأمر الذي حدا بالأديب المصري رضوان ابراهيم أن يتمنى ويترجى : «.. يا ليت آباء المهاجرين يورثون ابناءهم عروبة القلب إن لم يورثوهم عروبة الكلمة، فتبقى قلوبهم عربية مؤمنة وإن اصطنعت اللسان الأجنبي». إن هؤلاء المغتربين قد توثقت الصلات التي تربطهم بالمهجر ووهت صلاتهم بالوطن الأم في عشرات السنين التي مضت .

البعد الوعائي للضبط البيليوجرافي لأدب المهجر :

أدب المهجر في شتى ألوانه واصداراته ذو تشكيلة وعائية غنية تعكس ثراء فسيفساء نشره، ويمكن القول أن أهم أنواع أوعية أدب المهجر :

أولا : الأدب الدوري وأعني به الصحف والمجلات والنشرات الاخبارية وغيرها من المطبوعات الدورية ومن اهم الصحف أو الجرائد :

العنوان	المؤسس	السنة
كوكب أمريكا	ابراهيم ونجيب عربيلي	١٨٩٢
الفيحاء	سليم ودعيبش بالش	١٨٩٤
العصر	نعوم مكرزل	١٨٩٤
الرقيب	أسعد وخالد ونعوم لبكي	١٨٩٦
البرازيل	سليم بالش وأنطون النجار	١٨٩٦
الأيام	يوسف نعمان المعلوف	١٨٩٧
الهدى	نعوم مكرزل	١٨٩٨
العالم	جرجي جبور	١٨٩٨
الاصلاح	شبل ناصيف دموس	١٨٩٨
الأصمعي	خليل ملوك وشكري الخوري نعوم	١٨٩٨
الصبح	خليل ملوك وشكري الخوري وخليل شاول	١٨٩٩
المناظر	نعوم لبكي وفارس سمعان نجم	١٨٩٩
مرآة الغرب	نجيب موسى دياب	١٨٩٩
الوطنية	نعوم مكرزل	١٨٩٩
الصواب	حبيب الخوري وميخائيل مراد	١٩٠٠
الصدق	ابراهيم وهبه	١٩٠٠
الصخرة	جبرائيل قرقماز	١٩٠١
العدل	شكري جرجس انطون	١٩٠١

العنوان	المؤسس	السنة
المحيط	منصور وسليم حداد	١٩٠١
خلايا النحل	نعوم لبكي	١٩٠١
المنارة	الجمعية الخيرية المارونية	١٩٠١
جراب الكردي	انطون انسطاس زريق	١٩٠٢
الرموز	رشيد الخوري	١٩٠٢
السلام	وديع شمعون	١٩٠٢
الراوي	سليم سركيس	١٩٠٢
الأفكار	سعيد أبو حمزة	١٩٠٣
الاقبال	يوسف صليبا وغصن غصن	١٩٠٣
الشمس	قيصر الخوري	١٩٠٣
البستان	سليم سركيس	١٩٠٣
المهاجر	أمين الغريب	١٩٠٣
الشبيبة السورية	جمعية الشبان السوريين	١٩٠٣
الجهاد	مارون خليل الخوري وفيليب فارس	١٩٠٤
الذم	يوسف محفوظ	١٩٠٤
الدليل	أسعد الملكي ونجيب بدران	١٩٠٤
المعرض	سليم شاهين	١٩٠٤
الزمان	ميخائيل السمرا	١٩٠٥
الحقائق	ملحم فارس كرباج	١٩٠٥
السهام	ميخائيل جرجس الباشا	١٩٠٥
المنبر	عيد ميخائيل ذيبه	١٩٠٦
الشرق	عقل البشعلاني	١٩٠٦
ابو الهول	شكري الخوري	١٩٠٦
بشراي	خليل يوسف سعد	١٩٠٦
بريد أميركا	سلوم مكرزل	١٩٠٦
الجامعة اليومية	فرح أنطون	١٩٠٧
العروة الوثقى	الياس جبران قطان	١٩٠٧
الكون	نجيب أنطون صوايا	١٩٠٧
الوفاء	يوسف مراد خوري وفريد غصن	١٩٠٧

العنوان	المؤسس	السنة
الحرية	بطرس حنا جعارة ويوسف بدوي	١٩٠٨
الحكيم	عزيز حكيم	١٩٠٨
صدى المكسيك	سعيد فاضل عقل	١٩٠٨
الخواطر	يوسف صالح الحلو	١٩٠٨
الحديقة	قيس لبكي	١٩٠٩
الشهاب	ميخائيل ناصيف زربطاني	١٩٠٩
الميزان	اسطفان وجورج غلبوني	١٩٠٩
البريد	يوسف ناصيف ضاهر	١٩٠٩
الفوائد	سليمان الزغبي	١٩٠٩
المكتب الكندي	م.ج. صباغ	١٩١٠
البوميا		١٩١٠
الجالية	جورج مسرة	١٩١٠
جريدة العالمين	افتيموس عفيش وحافظ عبد الملك	١٩١٠
الشدياق	جورج شدياق	١٩١٠
الصاعقة	يوسف مسلم	١٩١٠
القضاء	فيليب جرجي بدران	١٩١٠
الوطن	ابراهيم والياس فرح	١٩١٠
الجرأة الأدبية	عبدالله الدريني	١٩١٠
سوريا الجديدة	نسيم خوري	١٩١٠
المودة	نقولا الخوري	١٩١٠
الاستقلال	الجمعية العربية	١٩١٠
السهام	نجيب نمر قسطنطين	١٩١٠
البيان	سليمان بدور وعباس ابو شقرا	١٩١١
الجديد	نجيب طراد وفارس نجم	١٩١١
الاتحاد	يوسف الياس يواكيم	١٩١١
الغربال	لبيب رياشي	١٩١١
القرن العشرون		١٩١١
المدى الأسبوعية	نعوم مكرزل	١٩١١

العنوان	المؤسس	السنة
الفجر	جورج حداد وناصر شاتيلا	١٩١١
الابتسامة	نسيب كرم	١٩١٢
الأمازون	فارس دبغي	١٩١٢
جراب الحاوي	سمعان منصور	١٩١٢
الحاوي	يوسف ملحم	١٩١٢
السهام	جورج اسحاق يارد	١٩١٢
السائح	عبد المسيح حداد	١٩١٢
المرشد	بولس الخوري	١٩١٢
المنطاد	زوين يوسف زوين	١٩١٢
أمنية العرب	نجيب عازوري	١٩١٣
أميركا	اسكندر شاهين	١٩١٣
الحمراء	الياس طعمة	١٩١٣
الفرائد	ابراهيم فرح	١٩١٣
القلم الحديدي	جورج حداد	١٩١٣
المرسل	يوحنا غصن	١٩١٣
النسر	سمعان منصور	١٩١٣
الارتقاء	انطون انسطاس	١٩١٤
الارتقاء السوري	خومس وجر	١٩١٤
الحرب والسلم	نسيب عريضة	١٩١٤
سوريا الفتاة	الياس طربيه وسمعان الحاماني	١٩١٤
فتاة بوسطن	ابراهيم خوري	١٩١٤
فتى الشرق	عبده فارس أبي راشد	١٩١٤
فتى لبنان	رشيد عطية	١٩١٤
المقرعة	سليم لبكي	١٩١٤
النسر	نجيب جرجي بدران	١٩١٤
النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية	١٩١٤
الاتحاد اللبناني	جمعية الاتحاد اللبناني	١٩١٥
الأرجنتين	سليم ابو سهيل	١٩١٥

العنوان	المؤسس	السنة
الانسانية	اسكندر أبي سمعان	١٩١٥
الأمة	ابراهيم منصور منعم	١٩١٥
ابو النواس	جورج اسحق يارد	١٩١٥
البرازيل	جورج مسرة	١٩١٥
الشمس	أسير الغريب	١٩١٥
العثماني	قيس لبكي	١٩١٥
العلم العثماني	سيف الدين رحال	١٩١٥
الوطن	ميخائيل هبلا ويوسف خوري	١٩١٥
أرزة لبنان	يوسف أيوب	١٩١٦
بيت نهرين	نعوم فائق	١٩١٦
الزهراوي	جورج أطلس	١٩١٦
سوق عكاظ	جورج شدياق	١٩١٦
الصاعقة	سليمان أبي بشر	١٩١٦
الكاوي	جميل دكدانيان	١٩١٦
المنير	يوسف مسعد	١٩١٦
النحلة	داود جرجس	١٩١٦
الرقيب	الياس طربيه ويوسف نحاس	١٩١٧
الشعب	يوسف مراد الخوري	١٩١٧
الصاعقة	ميخائيل دحروج	١٩١٧
صدى الشرق	نجيب بعقليني	١٩١٧
الفتاة	شكري نحاس	١٩١٧
المؤدب	نجيب قسطنطين حداد	١٩١٧
الاكرام	لجنة اكرام السوريين للبرازيل	١٩١٨
حط بالخرج	يوسف نجم الرشماني	١٩١٨
سوريا الجديدة	حبيب حنون	١٩١٨
سوريا الشهيدة	لجنة إعانة منكوبي سوريا ولبنان	١٩١٨
الشبيبة	جميل شومي	١٩١٨
العصر الجديد	خليل ضاهر	١٩١٨

العنوان	المؤسس	السنة
النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية	١٩١٨
التحالف اللبناني	جمعية التحالف اللبناني	١٩١٩
الاتحاد العربي	جورج أطلس	١٩١٩
الاخــلاص	جرجي قصاص وجبرائيل شامـي	١٩١٩
التساهل	جورج شدياق	١٩١٩
الجامعة السورية	حسني عبد الملك	١٩١٩
حمارة بلدنا	يوسف ناصيف جرجس	١٩١٩
الرائـد	نجيب قسطنطين حداد	١٩١٩
سائق الحمارة	جورج شدياق	١٩١٩
العاصمة	منير اللبابيدي	١٩١٩
فرنسا والشرق	يعقوب صفير	١٩١٨
الماشطة		١٩١٩
المبـرد		١٩١٩
الكلمة الحرة	حبيب بمبينو	١٩١٩
النجمة السورية	نجيب عزيز صفدي	١٩١٩
الهراوة الصفراء	جرجي حبيب الصيداوي	١٩١٩
يقظة العرب	جورج صوايا	١٩١٩
الجريدة	خليل سعادة	١٩٢٠
لبنان الكبير	يوسف ناصيف	١٩٢٠
المراقب	هنري ضو	١٩٢٠
الميماس	انطون شكور	١٩٢٠
الوطـن	شركة جريدة الوطن المساهمـة	١٩٢٠
الإخـاء	جبران مسوح	١٩٢١
الاستقلال	محمد زينو	١٩٢١
الاصلاح	سعيد مطر ونجيب العسراوي	١٩٢١
بريد الشرق	يوسف الحلو	١٩٢١
الحريـة	نسيب عامر وهبه	١٩٢١
الخبـر	عباس طربيه	١٩٢١

العنوان	المؤسس	السنة
حويودو (الاتحاد)	الجمعية الوطنية الاشورية الكلدانية	١٩٢١
الدفاع العربي	محمد المحيسن ومحمد حسن خروب	١٩٢١
السياسة	سليم شديد عقل	١٩٢١
الشرق	سيف الدين الرحال وحسن دركـل	١٩٢١
العلـم	يوسف الحلو	١٩٢١
الفجـر	فريد غصن	١٩٢١
لبنان الكبير	نعمان العندرافيلي	١٩٢١
الجاليـة	سامي يواكيم الراسي	١٩٢٢
الجامعة السورية	الجامعة السورية في بوسطن	١٩٢٢
جمعية أرزة لبنان	جمعية أرزة لبنان	١٩٢٢,
الشبيبة المتحدة	جمعية الشبيبة المتحدة	١٩٢٢
الفطرة	محمود محمد سلوم	١٩٢٢
كوردبا	شلبي رزق وجاد ورور	١٩٢٢
النشرة الاقتصادية	يعقوب غطاس	١٩٢٢
التفاهـم	اللجنة الفرنساوية الشرقية	١٩٢٣
الرسـول	وديع شاكر	١٩٢٣
الغربال	يوسف مسلم	١٩٢٣
الوطن الحر	الحزب الوطني السوري	١٩٢٣
الحياة	جورج عساف	١٩٢٤
الخواطر	يوسف الحلو	١٩٢٤
النجـوم	الياس ابو ناضر	١٩٢٤
الاتحـاد	يوسف الياس يواكيم	١٩٢٥
الرفيق	محبوب الشرتوني	١٩٢٥
الاتحاد السوري	شكري بعقليني	١٩٢٦
الأرزة	جمعية ارزة لبنان	١٩٢٦
الاستقلال	أمين أرسلان	١٩٢٦
الحقيقـة	قبلان الرياشي ومنصور سلهـب	١٩٢٦
الصباح	يوسف قهوجي	١٩٢٦

العنوان	المؤسس	السنة
العصر الجديد	قبلان الرياشي وحنا وهبه	١٩٢٦
لبنـان	يوسف خوري وميخائيل بوريدان	١٩٢٦
لسان العدل	شكري كنعان	١٩٢٦
المسامير	حليم بشارة نصار	١٩٢٦
المهجر	يوسف نجم الرشماني	١٩٢٦
الاتحاد	شكري بعقليني	١٩٢٧
المنبر	رشيد زين	١٩٢٧
نشرة الرابطة الوطنية السورية	الرابطة الوطنية السورية	١٩٢٧
الاصلاح	جورج صوايا	١٩٢٨
الدليل	توفيق صغون	١٩٢٨
الشرق	موسى كريم	١٩٢٨
الاصلاح		١٩٢٩
الجريدة السورية اللبنانية	موسى عزيزة	١٩٢٩
الجبهة	بطرس الزغبي	١٩٢٩
الرابطة	الرابطة الوطنية	١٩٢٩
المنتقد	عبود حداد	١٩٢٩
الجريدة اللبنانية الامريكية	ماري مكرزل	١٩٥٤
دائرة الاخبار	جوزيف حايك	١٩٧٤

اما بالنسبة للمجلات المهجرية فمنها :

العنوان	المؤسس	السنة
الأصمعي	خليل ملوك وشكري الخوري	١٨٩٩
صدى الجنوب	يوحنا سعيد	١٨٩٩
الدائرة	عيسى ميخائيل الخوري	١٩٠٠
الصاعقة	يوحنا سعيد	١٩٠١
الفكاهة	سعيد شقير	١٩٠١
الكلمة	رفائيل هواويني	١٩٠٥
الرموز	رشيد خوري	١٩٠٦
الزهرة	سليم العازر	١٩٠٦
الملح	فيلبس جرّو	١٩٠٦
الحياة الجديدة	جرجس عساف	١٩٠٧
النور	فيلبس جرّو	١٩٠٧
الدر المختار	نعمة ساروفيم	١٩٠٨
الحكمة	فسقفوس خير الله اسطفان	١٩٠٩
المطامير	عقل بشعلاني	١٩٠٩
الاستاذ	يوسف خويري	١٩١٠
العالم الجديد	سلوم مكرزل	١٩١٠
الفرائد	ابراهيم شحادة	١٩١٠
المعارف	أنيس جريج	١٩١٠
الصحة	يوسف يبرودي	١٩١٢
العالم الجديد النسائي	عفيفة كرم	١٩١٢
الروايات العصرية	رشيد عطية	١٩١٣
ساحة علي	نسيب عامر وهبه	١٩١٣
الفنون	نسيب عريضة ونظمي نسيم	١٩١٣
الكرمة	سلوى سلامة وجورج اطلس	١٩١٤
الحياة	حنا خليل الهندي	١٩١٥
الرواية	نجيب السمرا ويوسف نحاس	١٩١٥
المجلة	خليل سعادة	١٩١٥
الأنيس	حبيب مسعود وأنطون سعد	١٩١٦
الحق	طالب خير الله	١٩١٦
العواصف	انطونيوس جمل	١٩١٦
الأمازون	أمين ضومط	١٩١٧
الروضة	بطرس شعيا وعزيز فرنسيس	١٩١٧
النحلة	شبلي رزق وخليل فارس	١٩١٧
السعادة	يوسف الرشماني	١٩١٨
المجلة التجارية	سلوم مكرزل	١٩١٨
المنتخبات	الياس سليمان اليازجي	١٩١٨
النحلة	مبارك مارون	١٩١٨

العنوان	المؤسس	السنة
النسر	سمعان الحاماني	١٩١٨
الجديد	توفيق ضعون والياس فرحات	١٩١٩
حط بالخرج	يوسف الرشماني	١٩١٩
سوريا المتحدة	يوسف شمونتي	١٩١٩
فتاة بوسطن	وديع شاكر	١٩١٩
المدرسة	موسى كريم	١٩١٩
الأخلاق	يعقوب روفائيل	١٩٢٠
البرهان	رشيد تقي الدين وعباس أبو شقرا	١٩٢٠
الحرية	نسيب عامر وهبه	١٩٢٠
العروس	طانيوس سليمان الكفرخلداوي	١٩٢٠
الرابطة القلمية	مجموعة الرابطة القلمية	١٩٢١
الحديقة	نجيب بعقليني ، وديع هدلا، جبران قندلفت	١٩٢٢
سوريا	النادي السوري اللبناني	١٩٢٢
مسامرات المهاجر	نجيب موسى، يعقوب طيسون	١٩٢٢
الشرق والغرب	لبيبة هاشم	١٩٢٣
برج المراقبة		١٩٢٤
العاصمة	لويس أبي نادر، ميخائيل مراد	١٩٢٤
لبنان	شكري كنعان	١٩٢٤
الخالدات	انطونيوس بشير	١٩٢٥
التمدن	حبيب أسطفان وجبران مسوح	١٩٢٦
العالم السوري	سلوم مكرزل	١٩٢٦
اليتيم	افتيموس عفيش	١٩٢٦
الخالدات	ايليا الحاماتي، انطونيوس بشير	١٩٢٧
الحق	افتيموس عفيش	١٩٢٨

العنوان	المؤسس	السنة
الدليل	توفيق ضعون	١٩٢٨
العاصمة	الياس يوسف، جرجي حلو	١٩٢٨
اليقظة	رشوان عيسى، نجيب عزيز	١٩٢٨
الاصلاح	جورج صوايا	١٩٢٩
السمير	إيليا أبو ماضي	١٩٢٩
الفصول	مارون مبارك	١٩٢٩
المواهب	يوسف ضارمي	١٩٣٠
الاصلاح	فوزي البريدي	١٩٣٣
الحياة	حسين خروب	١٩٤٠
العالم العربي	جورج خير الله	١٩٤٦
نهضة العرب	سعيد فياض	١٩٤٧
الرسالة	حسين خروب	١٩٤٨
المشرق	حنا توما	١٩٤٩
العالم العربي	مركز المعلومات العربي	١٩٥٥
الرابطة	حبيب عيسى	١٩٥٧
العالم الجديد	يوسف أنطون	١٩٦١
المجلة العربية	منظمة الطلبة العرب	١٩٦٣
العمل	محمد تقي مهدي	١٩٦٩
الصوت الفلسطيني	مصطفى صيام	١٩٧١
المنبر العربي	جوزيف حايك	١٩٧١
مصر	وليم الميري	١٩٧٢
الموجز الفلسطيني	مكتب الجامعة العربية	١٩٧٢
الموجز العربي	جيمس ناظر	١٩٧٣
موجز الأنباء	صلاح مراد	١٩٧٣
الشرق الأوسط	أحمد مصطفى	١٩٧٣
القاهرة	منير أبادير	١٩٧٣
هذه رام الله	اتحاد رام الله الأمريكي	١٩٧٣
المصري	فؤاد القصاص	١٩٧٤
الأرزة	داود وسمير نجيب نادر	١٩٧٤
المسيرة	منظمة الطلبة العرب	١٩٧٤
أخبار العرب	عبد العزيز غريب	١٩٧٥
الرائد	ممدوح بطرس	١٩٧٥

العنوان	المؤسس	السنة
الطليعة	أنصار البعث العربي في أمريكا	١٩٧٥
منبر المهاجر	أمين عوض	١٩٧٦
صوت المغترب	شفيق منصور	١٩٧٦
أخبار العرب والعالم	ابراهيم عبد السلام	١٩٧٦
فلسطين	لجنة التضامن الفلسطيني	١٩٧٦
الثائر	أنصارجبهة التحرير العربية في أمريكا	١٩٧٦
المقاومة	أنصار الجبهة الديمقراطية	١٩٧٦

وتوضح النظرة التحليلية للعناوين الدورية السابقة أن هناك ثلاثين من المطبوعات الدورية للمنظمات والجمعيات وهي :

العنوان	المؤسس	السنة
— المنارة	الجمعية الخيرية المارونية	١٩٠١
— الشبيبة السورية	جمعية الشبان السوريين	١٩٠٣
— الاستقلال	الجمعية العربية	١٩١٠
— النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية	١٩١٤
— الاتحاد اللبناني	جمعية الاتحاد اللبناني	١٩١٥
— الإكرام	لجنة إكرام السوريين للبرازيل	١٩١٨
— سوريا الشهيدة	لجنة إعانة منكوبي سوريا ولبنان	١٩١٨
— النهضة اللبنانية	جمعية النهضة اللبنانية	١٩١٨
— التحالف اللبناني	جمعية التحالف اللبنانية	١٩١٩
— الوطن	شركة جريدة الوطن المساهمة	١٩٢٠
— حويودو (الاتحاد)	الجمعية الوطنية الآشورية الكلدانية	١٩٢١
— الجامعة السورية	الجامعة السورية في بوسطن	١٩٢٢
— جمعية أرزة لبنان	جمعية أرزة لبنان	١٩٢٢
— الشبيبة المتحدة	جمعية الشبيبة المتحدة	١٩٢٢
— التفاهم	اللجنة الفرنساوية الشرقية	١٩٢٣
— الوطن الحر	الحزب الوطني السوري	١٩٢٣
— الأرزة	جمعية أرزة لبنان	١٩٢٦
— نشرة الرابطة الوطنية السورية	الرابطة الوطنية السورية	١٩٢٧
— الرابطة	الرابطة الوطنية	١٩٢٩
— الرابطة القلمية	مجموعة الرابطة القلمية	١٩٢١
— سوريا	النادي السوري اللبناني	١٩٢٢
— العالم العربي	مركز المعلومات العربي	١٩٥٥
— المجلة العربية	منظمة الطلبة العرب	١٩٦٣
— الموجز الفلسطيني	مكتب الجامعة العربية	١٩٧٢
— هذه رام الله	اتحاد رام الله الامريكي	١٩٧٣
— المسيرة	منظمة الطلبة العرب	١٩٧٤
— الطليعة	أنصار البعث العربي في أمريكا	١٩٧٥
— فلسطين	لجنة التضامن الفلسطيني	١٩٧٦
— الثائر	أنصار جبهة التحرير العربية في أمريكا	١٩٧٦
— المقاومة	أنصار الجبهة الديمقراطية في أمريكا	١٩٧٦

ومن بين الدوريات النسوية التي صدرت في المهجر :

الجريدة اللبنانية الأمريكية	لماري مكرزل	١٩٥٤
العالم الجديد النسائي	عفيفة كرم	١٩١٢
الكرمة	سلوى سلامة وجورج أطلس	١٩١٤
الشرق والغرب	لبيبة هاشم	١٩٢٣
السيدات والرجال	روز انطون ونقولا الحداد	؟

ومن بين أعمال الاستخلاص التي صدرت في المهجر الأمريكي العناوين التالية وهي حديثة :

— الموجز العربي ، وأصدره جيمس ناظر ١٩٧٣ .

ــ الموجز الفلسطيني ، وأصدره مكتب الجامعة العربية ١٩٧٣ .
ــ موجز الأنباء ، وأصدره صلاح مراد ١٩٧٣ .

وفي ذكرنا لهذه العناوين الدورية بوجه عام وفي تحليلنا لها :

أ ــ توخينا الإفادة لتغطية القديم والحديث مما صدر من دوريات ، بالرغم من أن بعض هذه الدوريات وبخاصة الحديثة منها دوريات غير أدبية .

ب ــ شملت عناوين الدوريات في شتى الموضوعات لنشرها كافة تقريبا أعمالا أدبية ولو في بعض أعدادها .

جـ ــ يؤمل أن تكون الفائدة أكبر للقاريء عندما نوفر أكبر قدر من التغطية ونحصر ما وسعنا حصره مما صدر من الدوريات في المهجر ، انطلاقا من مفهوم الأدب الواسع الذي يشمل ما تفتقت عنه قرائح الكتاب في شتى حقول المعرفة .

د ــ يلاحظ في التحليل الزمني لصدور الصحف أن بداية صدورها قد كانت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد عرضت أرقام الصحف الصادرة مع اقتراب القرن العشرين تزايداً في أعدادها ، ومع القرن الحالي بدأت الصحافة المهجرية تزدهر وتتنامى الصحف المنشورة حتى خلال سنين الحرب العالمية الأولى وبخاصة السنتين ١٩١٤ ، ١٩١٥ ثم بدأت الصحف الصادرة تقل ، ومع نهاية الحرب نشطت الحركة الصحفية العربية في المهجر واستمرت فترة النشاط هذه حتى بداية العشرينات من هذا القرن ، ثم اعتورت الصحافة المهجرية ظروف بين المد والجزر ولم تسعفنا المصادر المتوفرة بالقدر الكافي من المعلومات عن النشاط الصحفي المهجري منذ العقد الثالث من القرن الحالي بالرغم من حصولنا على بيانات ببليوجرافية مفيدة عما صدر في الفترة المنصرمة من المجلات . ولتوضيح الملامح الزمنية لصدور الصحف المهجرية نثبت البيانات الرقمية التالية :

السنة	عدد الصحف الصادرة فيها
١٨٩٢	١
١٨٩٤	٢
١٨٩٦	٢
١٨٩٧	١
١٨٩٨	٤
١٨٩٩	٤
١٩٠٠	٢
١٩٠١	٥
١٩٠٢	٤
١٩٠٣	٦
١٩٠٤	٤
١٩٠٥	٣
١٩٠٦	٥
١٩٠٧	٤
١٩٠٨	٤
١٩٠٩	٧
١٩١٠	١٣
١٩١١	٧
١٩١٢	٨
١٩١٣	٧
١٩١٤	١٠
١٩١٥	١٠
١٩١٦	٨
١٩١٧	٦
١٩١٨	٧
١٩١٩	١٦
١٩٢٠	٥
١٩٢١	١٣
١٩٢٢	٧
١٩٢٣	٤
١٩٢٤	٣
١٩٢٥	٢
١٩٢٦	١٠
١٩٢٧	٣
١٩٢٨	٣
١٩٢٩	٥
١٩٥٤	١
١٩٧٤	١

أما المجلات فكان لها نفس البداية في الصدور مع الصحف المهجرية ، وقد تنامت في نهاية العقد الأول من القرن العشرين ، وفي فترة الحرب العالمية الأولى تأثرت المجلات المهجرية ولم تتعافى وتنهض وتتنامى إلا مع السنة الأخيرة لتلك الحرب بحيث صدر منها خمسة في سنة ١٩١٨ ، بيد أن أعدادها الصادرة بعد ذلك لم تبد نموا ، ومع أن إصدار المجلات المهجرية بدأ ينشط قليلاً مع نهاية العقد الثاني من القرن الحالي ، إلا أن تراجعاً ملحوظاً وتقلصاً واضحاً بدأ يعتري صدور المجلات المهجرية مروراً بفترة الحرب العالمية الثانية والسنين التي أعقبتها ، ومع بدء السبعينات بدأت أعداد المجلات الصادرة في المهجر تتزايد ؛ ويلاحظ أن

أوضاع العالم العربي تلقى صدى وتترك بصمات على حركة النشر وطبيعته في المهجر ، ففي سنة ١٩٧٣ ، حيث جرت حرب رمضان في المنطقة ، صدرت ٥ مجلات .

إن الظاهرة المؤسساتية في النشر تعكس أموراً شتى منها التعاون والاتصال الوثيق ، بالاضافة للسمة الاقتصادية والدعم المادي الذي تتلقاه مؤسسة ما في انشطتها النشرية ؛ وقد تنطبق هذه الملاحظة التي سقناها على صدور الدوريات المهجرية عن المؤسسات العربية هناك من جمعيات ونواد ولجان وأحزاب ومنظمات ومراكز إعلامية وثقافية وأدبية واجتماعية واقتصادية ، وقد لوحظ نشاط في الاصدارات الدورية لهذه المؤسسات قبيل العقد الثاني من هذا القرن ، ومع بداية العشرينات ، وبعيد منتصف السبعينات ، ولتوضيح الملاحظات السابقة عن صدور المجلات بوجه عام ، وصدور الدوريات المهجرية عن المؤسسات نثبت البيانات الرقمية التالية :

سنة صدور المجلة	العدد
١٨٩٩	٢
١٩٠٠	١
١٩٠١	٢
١٩٠٥	١
١٩٠٦	٣
١٩٠٧	٢
١٩٠٨	١
١٩٠٩	٢
١٩١٠	٤
١٩١٢	٢
١٩١٣	٣
١٩١٤	١
١٩١٥	٣
١٩١٦	٣
١٩١٧	٣
١٩١٨	٥
١٩١٩	٥
١٩٢٠	٤
١٩٢١	١
١٩٢٢	٣
١٩٢٣	١
١٩٢٤	٣
١٩٢٥	١
١٩٢٦	٣
١٩٢٧	١
١٩٢٨	٤
١٩٢٩	٣
١٩٣٠	١
١٩٣٣	١
١٩٤٠	١
١٩٤٦	١
١٩٤٧	١
١٩٤٨	١
١٩٤٩	١
١٩٥٥	١
١٩٥٧	١
١٩٦١	١
١٩٦٣	١
١٩٦٩	١
١٩٧١	٢
١٩٧٢	٢
١٩٧٣	٥
١٩٧٤	٣
١٩٧٥	٣
١٩٧٦	٦

بالنسبة للدوريات الصادرة عن المنظمات فنثبت الأرقام التالية :

سنة الصدور	العدد
١٩٠١	١
١٩٠٣	١
١٩١٠	١
١٩١٤	١
١٩١٥	١
١٩١٨	٣
١٩١٩	١
١٩٢٠	١
١٩٢١	٢
١٩٢٢	٤
١٩٢٣	٢
١٩٢٦	١
١٩٢٧	١
١٩٢٩	١
١٩٥٥	١
١٩٦٣	١
١٩٧٢	١
١٩٧٣	١
١٩٧٤	١
١٩٧٥	١
١٩٧٦	٣

بالاضافة لأوعية الدوريات ، فقد أصدر أدباء المهجر أنواع أخرى شتى من أوعية المعلومات يبرز من بينها مثلاً :

— كتب التراجم أو السيرة ومنها مثلاً :

جبران / جميل جبر . ــ بيروت : (د . ن) ، ١٩٥٧ .

جبران حيا وميتا / حبيب مسعود . سان باولو : (د . ن) ، ١٩٣٢ .

جبران خليل جبران / ميخائيل نعيمة . ــ بيروت : (د. ن) ، ١٩٤٣ .

ذكرياتي مع جبران / يوسف الحويك ، تحرير ردفيك جريديني شيبوب . ــ بيروت : (د . ن) ، ١٩٥٩ .

سبعون (المرحلة الأولى) / ميخائيل نعيمة . ــ بيروت : (د . ن)، ١٩٥٩

سبعون (المرحلة الثانية) / ميخائيل نعيمة . ــ بيروت : (د . ن)، ١٩٦٠

سبعون (المرحلة الثالثة) / ميخائيل نعيمة . ــ بيروت : (د . ن)، ١٩٦٠

سيرة حياتي / توفيق ضعون . ــ سان باولو : (د . ن) ، (د . ت)

ــ **الأدلة** وهي تأخذ مكانا بارزا بين كتب المراجع لتوفيرها قدرا كبيرا مفيدا من المعلومات الثقافية والاجتماعية والجغرافية عن الأشخاص والمؤسسات في المهجر ومن أهم العناوين :

The American Arabic Speaking Community Almanac

ويصدره الكاتب الصحفي الفلسطيني يوسف (جوزيف) الحايك . عن مؤسسته المدعوه باسم صحيفته : The New Circle في كالفورنيا .

ومن الأدلة ايضا **دليل رابطة الجامعيين العرب الأمريكيين في ديتروبت بولاية ميتشيغان** .

ــ **الكتب السنوية التي تتابع أنشطة العرب في المهجر الأمريكي** ومنها :

Yearbook of The Action Committee on American Arabrelations

ويصدره في نيويورك لجنة العلاقات الأمريكية العربية .

ــ **الرسائل وأدب الرسائل للمهجريين** ثر جميل ومنه :

ــ**رسائل أمين الريحاني** / جمعها ألبرت الريحاني . ــ بيروت : (د . ن) ، ١٩٥٩

ــ **رسائل جبران** / جمعها جميل جبر . ــ بيروت : (د . ن) ، ١٩٥١

بالاضافة للأنواع المتفرقة الأخرى كالرسائل الجامعية ، والتقارير .

وقد خلف العرب في المهجر ثروة فكرية عظيمة ضمتها بطون كتب جمّة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ــ **الآباء والبنون** (مسرحية) / ميخائيل نعيمة . ــ نيويورك : (د . ن) ١٩١٧

ــ **أغاني الدرويش** / رشيد أيوب . ــ نيويورك : (د . ن) ١٩٢٨

ــ **أوراق الخريف** / لندرة حداد ، تقديم وليم كاتسفليس . ــ نيويورك : (د . ن)، ١٩٤١

ــ **ما أجملك يا لبنان** / حبيب مسعود . ــ سان باولو : (د . ن) ، ١٩٥٢ .

بالاضافة **لاصدارات اعضاء العصبة الأندلسية** في سان باولو في سنوات مختلفة ومنها :

عبقر / [ملحمة شعرية] لشفيق المعلوف

نداء المجاديف / لشفيق المعلوف

لكل زهرة عبير / لشفيق المعلوف

ديوان القروي / الشاعر القروي

ديوان فرحات ، **٣ ج** / الياس فرحات

معلقة الأرز / نعمة قزان

خيالات وزورق الغياب / رياض المعلوف

صور وذكريات / سلمى الصائغ

أقاصيص / جورج حسون المعلوم

الروافد ، **زنابق البحر** ، **نبي أورفليس** ، **المنقار الأحمر**/ لشكر الله الجر

من المهد الى اللحد (رواية)/ انطون أنيس شكو .ـريو دي جانيرو : (د ن ، د ت)

ثورة قازان في معلقة الأرز / محمود شريف . ــ ريو دي جانيرو : (د . ن ، د . ت)

- The Shaddow of Liberty/ Edward Corsi.- NY: Macmillan, 1935.

- Syrians in America/ Phillip Hitti.- NY: G. Doran, 1924

ديوان أبي ماضي ، ج ٢ . ــ نيويورك : (د . ن) ، ١٩١٦ .

الجداول / ايليا أبو ماضي . ــ نيويورك : (د . ن) ، ١٩٢٧.

الخمائل / ايليا أبو ماضي . ــ نيويورك : (د . ن) ، ١٩٤٦.

الرستميات ، ج ١ / أسعد رستم. ــ نيويورك:(د. ن)، ١٩٠٥

الرستميات ، ج ٢ / أسعد رستم. ــ نيويورك:(د. ن)، ١٩١٩

جواهر العصر / أمين الغريب . ــ سان باولو : (د . ن) ، (١٩٥٩ ؟)

تأثير الاسلام في الطب / جورج أبو علي خير الله . ــ نيويورك : (د . ن ، د . ت)

الاسلام والنبي العربي / جورج أبو علي خير الله . ــ نيويورك : (د ن ، ت . ن)

بعث جزيرة العرب / جورج أبو علي خير الله . ــ نيويورك : (د . ن ، د . ت)

المواكب / جورج أبو علي خير الله . ــ نيويورك (د . ن ، د . ت)

ملكة سبأ (رواية) / أمين زيدان . ــ نيويورك : (د . ن ، ١٩٣ــ)

اللاميات الثلاث / رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي).ــ سان باولو : (د . ن) ، ١٩٤٧ .

عيناك مهرجان / شفيق المعلوف .ــ سان باولو : (د . ن) ، ١٩٦٠ .

سنابل راعوث / شفيق المعلوف .ــ سان باولو : (د . ن) ، ١٩٦١ .

غيوم (شعر بالفرنسية)/ رياض المعلوف .ــ سان باولو : (د . ن)، ١٩٤٣ .

خيالات / رياض المعلوف .ــ سان باولو : (د . ن)، ١٩٤٥ .

الرباعيات / الياس فرحات .ــ سان باولو : (د . ن)، ١٩٢٥ .

أحلام الراعي / الياس فرحات .ــ سان باولو : (د . ن)، ١٩٥٣ .

الغربيات + أغاريد في عواصف / الياس عبد الله طعمة . ريو دي جانيرو : (د . ن) ، ١٩١٦ .

نفحات الصور / أبو الفضل الوليد ، عبد الله طعمة .ــ ١٩١٧ .

مراحل الحياة / سعيد اليازجي .ــ (د . م : د . ن ، ــ١٩١)

أقاصيص / جورج حسون المعلوف .ــ سان باولو : (د . ن)، ١٩٥٤

العناقيد / جورج عساف .ــ سان باولو : (د . ن)،١٩٥٢

أسرار القصور (رواية) / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس ايرس (د . ن ، د . ت)

السلطانة ، المحرر سان مرتين ، الحب والسياسة ، كان مكتوبا ، حقوق المرأة المسلمة (مسرحيات بالاسبانية) / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس ايرس : (د . ن ، د . ت)

مذكرات شرقية / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس أيرس : (د.ن،د.ت)

أسرار الشرق / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس أيرس : (د.ن،د.ت)

الثورة السورية على السلطة الفرنسية / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس أيرس : (د.ن،د.ت)

ملخص تاريخ العرب / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس أيرس : (د.ن،د.ت)

آخر الغرام / أمين مجيد أرسلان .ــ بيونس أيرس : (د.ن،د.ت)

الجزيرة العربية Arabia (بالاسبانية)/ خلدون نويهض .ــ (د. م: د. ن)، ١٩٥٩ .

عشر سنوات من الازدهار / خلدون نويهض (د. م: د. ن)، ١٩٦٣

أحلام / جورج كعدي / (د. م: د. ن) ، ١٩٤٨

هذه أمثلة من الكتب الصادرة في المهجر ، والجدير بالذكر أن الصحف والمجلات كانت تمثل أهم وأكثر أوعية أدب المهجر .

البعد الزمني للضبط الببليوجرافي لأدب المهجر :

كانت بداية الهجرة من الشرق العربي الاسلامي إلى الأمريكتين قد أخذت مكانها في العشرينيات من القرن المنصرم ، غير أن أدب المهجر الذي تقع عليه قد تمثلت بداياته في العقد الأخير من القرن المنصرم ، ويشير جورج صيدح إلى أن الآثار الأدبية للمهجريين ترجع للتسعينيات من القرن المنصرم مبتدئة بصدور ديوان ميخائيل رستم بنيويورك بعنوان : **الغريب في الغرب** وكان ذلك في سنة ١٨٩٥ ، كما يشير صيدح إلى أن « أهل فلسطين سبقوا اللبنانيين إلى الهجرة بصورة مصغرة ولكنهم لم يستقروا جميعا في البلدان التي نزلوا فيها كما فعل اللبنانيون ، ... واتجه أكثرهم (أي الفلسطينيين) إلى أميركا الوسطى حيث ندر أن تجد غير الفلسطينيين في الجوالي العربية هناك ، وهم الآن كثرة في جمهورية تشيلي ؛ ولهم المقام الأرفع في عالم الصناعة والتجارة ؛ وفي عام ١٨٨٠ وصل أول مهاجر فلسطيني إلى تشيلي ... »

ومن هذا المنطلق فإن حصر الانتاج الفكري للعرب المغتربين في المهجر الأمريكي يغطي فترة تبتدىء عمليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولدى معالجة الناعوري للحدود الزمنية لأدب المهجر رأى فيه « **أدب الرعيل الأول** من بناة الأدب العربي على ضفاف المسيسبي والأمازون » ويرى الناعوري أن حلقات أدب المهجر قد انفرطت بوفاة الكثيرين والمجيدين فيه حيث يقول : أن الذين مضوا من أدباء المهجر إلى العالم الآخر لم يحل محلهم من يستطيعون أن يحتفظوا للأدب العربي في ديار الغربة بزهوته ونضرته وقوته ، وكلما مات منهم سيد خلا مكانه ، وليس ثمة من يملأه من بعده ، لقد انفرطت الرابطة القلمية بوفاة جبران ، ونسيب عريضه ، وايليا أبي ماضي ، ورشيد أيوب ، وندره حداد ، ووليم كاتسفليس ، ووديع باحوط ، والياس عطا الله ، وضعف أدب المهجر الشمالي بوفاة امين الريحاني ، وأمين مشرق ، وحبيب كاتبه ، ومسعود سماحة ، وفي المهجر الجنوبي لم يقم من يملأ مكان فوزي المعلوف ، وحسين غراب ، وميشال المعلوف ، وأبي الفضل

الوليد عبد الله بن طعمة ، ويوسف البعيني ، وعقل الجر ، وسلمى صائغ ، ورشيد عطية ، واسكندر كرباج ، وظلت أماكن العائدين من الذين اغتربوا خالية ممن يستطيعون أن يجيئوا بمثل أدبهم الجميل ، أدب ميخائيل نعيمة ، وجورج صيدح ، ونظير زيتون ...

غير أن الناعوري يعود مرة أخرى فيشير إلى الحياة الممتدة بعد لنتاج أدب المهجر ، فالذين عادوا من المهجر للوطن مازالوا مهجريين بالروح وبجمال الانتاج الأدبي ، ومايزال أدبهم يضاف إلى كنوز المهجر الثمينة برغم صدورها عن الوطن الأم ، وهذا يعني أمرا آخر غير ما قرره الناعوري في قوله بأن الأدب المهجري أدب فترة قصيرة من عمر تاريخ الأدب العربي ؛ لقد تجاوز عمر هذا الانتاج القرن من الزمان ، وفي رأيي أنه مستمر مادام هناك مغترب عربي يمد أدبنا ويثريه بهذا اللون الجميل من النتاج الأدبي المهجري .

ولذلك فإن حصر هذا الأدب يمتد ليشمل الفترة المعاصرة .

مصادر الضبط البيليوجرافي لأدب المهجر :

هناك طائفتان رئيسيتان من هذه المصادر هما :

١ ـــ المصادر الاقتنائية .

٢ ـــ والمصادر غير الاقتنائية البيليوجرافية وغير البيليوجرافية .

١ ـــ بالنسبة للمصادر الاقتنائية فتشمل مكتبات غنية بمجموعاتها من انتاج أدباء المهجر ، ويبرز بينها في :

أ ـــ أميركا : ـــ مكتبة الكونجرس

ومكتبة بلدية نيويورك

بالاضافة لمكتبات المؤسسات التالية :

الاتحاد العالمي للمغتربين العرب ـــ في توليدو في ولاية أوهايو .

معهد الشؤون العربية الاميركية ـــ نيويورك .

المركز الثقافي العربي ـــ سان فرانسيسكو ، كاليفورنيا .

نادي الكتاب ـــ نيويورك .

ب ـــ أما في الأقطار العربية فأهم مجموعات أدب المهجر متوفرة في :

ـــ مكتبة يافث التذكارية ـــ جامعة بيروت الأميركية ـــ بيروت ـــ لبنان .

ـــ مكتبة الجامعة الأردنية ـــ عمان ـــ الأردن .

ـــ مكتبة جامعة دمشق ـــ دمشق ـــ سوريا .

ـــ مكتبة جامعة بيرزيت ـــ بيرزيت ـــ فلسطين .

ـــ مكتبة جامعة القاهرة ـــ القاهرة ـــ مصر .

ـــ دار الكتب المصرية ـــ القاهرة ـــ مصر .

ـــ مكتبة جامعة الرياض ـــ الرياض ـــ المملكة العربية السعودية .

ـــ المكتبة المركزية ـــ جامعة بغداد ـــ العراق .

٢ ـــ أما عن **المصادر البيليوجرافية وغير البيليوجرافية** فمتعددة ومنها :

١٠٢ ـــ **القوائم : مثل ـــ معجم المطبوعات العربية والمعربة /** ليوسف اليان سركيس . ـــ القاهرة : مطبعة سركيس ، ١٩٢٨ .

وهو يعطي أحيانا نبذا عن سيرة المؤلف ، ويسوق لنا عناوين تآليفه مع البيانات البيليوجرافية الضرورية عنها ، وغالبا ما يعتري النقص المعلومات عن المؤلفات أو نشرها ومثال ذلك ما ورد في المعجم عن جبران خليل جبران .

Index Translationum وتتضمن أعداده الصادرة في باريس عن اليونسكو معلومات عما ترجم من أعمال أدباء المهجر كجبران ولغة الترجمة واسم المترجم ...

٢٠٢ ـــ **الكشافات للمقالات الدورية ومنها :**

ـــ **فهرس العربي /** عبد العزيز العمري .

الكويت : مؤسسة دار العلوم ، ١٣٩٧ ص ١٧٩

يورد الكشاف عن شعراء المهجر أربع مقالات منشورة في الأعداد ٩٧ ، ١٠١ ، ١٩٤ ، ٤٨ .

ـــ **فهرس المقتطف** ١٨٧٦ ـــ ١٩٥٢/ هيئة الدراسات العربية بالجامعة الامريكية ببيروت .

بيروت : الجامعة الامريكية ، ١٩٦٧ . ص ٧٢ ، ٥٤١ .

ويسوق لنا الكشاف أربع مقالات عن أدباء المهجر ومنها مثلاً :

« الأدباء السوريون في أميركا » ع ٦٠ (١٩٢٢) ص ٤٠٧ .

« جبران خليل جبران » فؤاد صروف . ع ٧٨ (١٩٣١) ص ٦٣١ .

« جبران خليل جبران » مي زيادة . ع ٧٤

(١٩٢٩) ص ٩ .
« جبران خليل جبران » ميخائيل نعيمة . ع ١٠٦ . (١٩٤٥) ص ٧٠ .
« فرحات ، الياس » علي العطار . ع ٦٨ (١٩٢٦) ض ٤٣٦ .

٣٠٢ ــ **الفهارس** سواء كانت للمكتبات بأنواعها أو لمكتبات أو مجموعات خاصة ونضرب مثلاً عليها :

فهرس مكتبة خير الدين الزركلي .

الرياض : جامعة الرياض ، ١٤٠١ .

ومكتبة الزركلي غنية وهي مهداة لجامعة الرياض ، وفي فهرسها كشاف للمؤلف والعنوان ، ولو نظرنا فهرس المؤلف مثلاً لوقعنا بسرعة على اسم جبران أمير شعراء المهجر ويحيلنا الكشاف لصفحة ٢٦٤ ، حيث نجد كتابا بعنوان : كلمات جبران خليل جبران / جمع انطونيوس بشير . ــ القاهرة : مكتبة العرب ، (د. ن) ١٧٥ ص .

٤٠٢ ــ **كتب المراجع البيبليوجرافية مثل :**

مراجع تراجم الأدباء العرب / خلدون الوهابي

بغداد : الشركة الاسلامية للطباعة ، ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ . ــ ٣ ج .

وممن يذكر المؤلف ويعالج في الجزء الأول الشاعر والكاتب المهجري جورج صيدح في الصفحة ١٧٤ وما يليها .

٥٠٢ ــ **الرسائل الجامعية** المقدمة حول أدب المهجر ومنها :

رسالة ماجستير لوديع ديب بعنوان : **الشعر العربي في المهجر الاميركي** . (د . م ، د . ن) ، ١٩٥٥

٦٠٢ ــ **كتب التراجم ويبرز منها بالعربية :**

ــ **معجم المؤلفين** / عمر رضا كحالة . ــ دمشق : مطبعة الترقي ، ١٣٧٦ .

كمثال ، دعنا ننظر في الجزء الثالث من المعجم ، فسنجد في الصفحة ١٥٨ منه نبذة عن الشاعر المهجري رشيد أيوب وحياته وهجرته ورحلاته وأنشطته في الرابطة القلمية وغيرها ثم هذه العناوين من دواوينه :

ــ الايوبيات
ــ أغاني الدرويش
ــ هي الدنيا

ويفيدنا المعجم أنها جميعا منشورة في نيويورك ، بيد أنه في الغالب لا يعطي البيانات البيبليوجرافية الكاملة عن الناشر وسنة النشر .

ــ **الأعلام** / خير الدين الزركلي . ــ بيروت : دار العلم ، ١٩٨٠ .

إن نظرة في الجزء (٥) ، الصفحة ١٦٣ توضح لنا معالجة هذا المرجع لسيرة أدباء المهجر في خلال عرضه وتعامله مع سيرة الشاعر فوزي المعلوف ، حيث يذكر سني حياته ووفاته ، واسمه الكامل ، وأصله ومكان ولادته في لبنان ، واللغات التي اتقنها ، والعمل الذي قام به ودراسته ثم سفره للبرازيل ونشاطه الأدبي ويذكر المصدر : أن المعلوف نشر من شعره :

ــ سقوط غرناطه
ــ تأوهات الحب
ــ شعلة العذاب
ــ أغاني الأندلس
ــ على بساط الريح

كما يذكر المصدر كتاب الأديب يعقوب العودات أو البدوي الملثم عنه بعنوان : **شاعر الطيارة .**

ومنهج الزركلي العام أنه يغفل إعطاء أية بيانات بيليوجرافية عن المؤلفات .

٧٠٢ ــ **المعاجم اللغوية العامة والأدبية ومنها :**

المعجم الأدبي / جبور عبد النور

بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ .

نجد ذكرا في الصفحة ٤٩٦ مثلاً للرابطة القلمية وسنة تأسيسها وعضويتها وأسماء الأعضاء ، ثم لدى التطرق لجبران خليل جبران يذكر المعجم عناوين المؤلفات وسني نشرها دون ذكر اسم الناشر أو مكان النشر ، ومن عناوين هذه المؤلفات التي سيقت :

ــ الأرواح المتمردة ١٩٠٨
ــ الاجنحة المتكسرة ١٩١٢
ــ المجنون ١٩١٨
ــ السابق ١٩٢٠
ــ النبي ١٩٢٣

ـــ يسوع بن الانسان ١٩٢٨
ـــ حديقة النبي ١٩٣٣

٨٠٢ ـــ **الدراسات المتخصصة** ومنها :

ـــ **أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية** / جورج صيدح. ـــ ط ٣ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ .

وهو يتناول أكثر من ٤٠ أديبا مهجريا في الولايات المتحدة ، وأكثر من ٩٠ أديبا في البرازيل ، وأكثر من ٢٠ أديبا في الارجنتين ، وأكثر من ١٠ أدباء في المكسيك ، فنزويلا ، الأكوادور وتشيلي ، وعدد قريب من ذلك في كندا وأقطار أمريكا الوسطى .

ويعطي صيدح معالجة مفصلة عن سيرة أدباء المهجر وبخاصة من هو مهم وبارز في إسهامه الأدبي ، ويذكر مؤلفات كل أديب وسنوات نشرها ، غير أنه عادة ما يغفل إعطاء معلومات عن الناشر أو مكان النشر ، كما جاءت تغطيته لأدباء المهجر في أمريكا الوسطى ولأدباء المهجر غير السوريين واللبنانيين ، وغير النصارى فقيرة ، وقد ركز على أدباء المهجر في الولايات المتحدة ، والبرازيل والأرجنتين .

ـــ **فنون النثر المهجري** / عبد الكريم الأشتر .
بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٩٦٥

عالج الأشتر المقالة ، القصة ، المسرحية ، التراجم ، الأمثال والرسائل وركز على نتاج جبران ونعيمة وكاتسفليس وعبد المسيح حداد ونسيب عريضه .

ـــ **أدب المهجر** / عيسى الناعوري .
القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٩

حفل كتاب الناعوري بمعالجة غنية لأدب المهجر مع التركيز على نتاج أدباء الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية ، كما وقف على النشاط الأدبي النسوي في المهجر ، كما أتى على معالجة الموشحات والزجل عند شعراء المهجر ، وتناول نماذج من المطولات الشعرية بالنقد والتحليل ، وتناول الناعوري خمسين من أعلام أدب المهجر ودرس آثارهم .

ـــ **العرب في المهجر الأمريكي : وجودهم ، صحافتهم ، جمعياتهم** / عامر ابراهيم القنديلجي .
بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٧ .

جاء هذا الكتاب متميزا عما سبقه بتركيزه على معالجة وجود الجالية العربية وهجرتها لأميركا ، وقدم لنا احصاءات عن هذه الهجرة ، وقد عني الكتاب بنشاط المهجريين في الصحافة ، وذكر صحفهم ويعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما للتعرف على صحف المهجر الصادرة خاصة بين الثلاثينيات ومنتصف السبعينيات ، وللتعرف كذلك على المؤسسات والمنظمات والمراكز المتصلة بنشاط الجالية العربية في المهجر .

٩٠٢ ـــ **كتب تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ الصحافة العربية** ، ومن أمثلتها :

تاريخ الصحافة العربية / فيليب دي طرازي . ـــ بيروت : المطبعة الأدبية ، ١٩١٤ . ـــ ج ٣

يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما للبحث التاريخي في تطور النشاط الصحفي المهجري ، حيث يعطي المؤلف بيانات زمنية ومكانية عن صدور عنوان كل جريدة أو مجلة ، واسم مصدرها ونبذة عنه أحيانا ، وهذا الكتاب من المصادر القليلة عن الصحف الصادرة في المهاجر الأمريكية بين ١٨٩٢ وحتى منتصف العشرينيات من هذا القرن وهو يكمل كتاب القنديلجي في تغطية الصحف الصادرة منذ ١٨٩٢ إلى ١٩٧٦ .

١٠٠٢ ـــ **الدراسات الاجتماعية للجالية العربية في المهاجر الأمريكية** ومنها :

Arab,... Syrian, Lebanese... Americans/ K. V. Chandras. San Francisco: R & E Research Associates, 1977. - 121p.

يعطي الكتاب معلومات هامة عن مصادر دراسة الجالية العربية في أمريكا وبيانات ببليوجرافية عن هذه المصادر وملخصاً لمضمون كل كتاب أو مقالة نشرت بهذا الصدد ، وقد ضم الكتاب مجموعة من أبحاث العرب في المهجر الأمريكي ومؤلفاتهم المرجعية والدورية بالانجليزية .

ـــ **الناطقون بالضاد في أمريكا** / ترجمة يعقوب العودات . ـــ القاهرة : (د . ن) ، ١٩٤٦

ـــ **الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية** /

يعقوب العودات . ـــ بيروت : (د.ن.د.ت) . ـــ ٢ ج .

هذان العنوانان تسندهما رحلة العودات للمهجر الأمريكي ولقاؤه بالكثير من أدباء المهجر ورجالاته ، ويعالج العودات شتى جوانب الحياة في المهجر ، ولذا ترى أن هذين الكتابين يحفلان بالمعلومات عن النشاط الاقتصادي ، إلى جانب النشاط الأدبي والاجتماعي للجالية العربية في المهجر .

١١٠٢ ـــ **المقالات الدورية وأعداد الدوريات الصادرة خاصة عن أدب المهجر** مثل :

ـــ « عدد خاص عن أدباء المهجر » **لمجلة القلم** الجديد (عمّان) ، آب ١٩٥٣ .

أما المقالات الدورية المعالجة لأدباء المهجر فكثيرة نذكر منها ما نشر في الدوريات التالية :**الجامعة** :

ـــ حال السوريين في دار هجرتهم : لشبل ناصيف دموس ـــ س ١٩٠٦ ع ١٥ ص ٥٤ .

الجريدة (البيروتية)

ـــ ناسك الشخروب في غزلته : لجوزيف صدقي ـــ ع ٢٢٦ ص ٧ الصادر بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٦ .

الجمهورية (القاهرية)

ـــ حديث مع ميخائيل نعيمة : لألفريد فرج ـــ س ١٩٥٧ ع ١٧ ديسمبر .

الحديث (الحلبية)

ـــ ميخائيل نعيمة (ست مقالات) : دراسة للدكتور اسماعيل أدهم ـــ س ١٩٤٤ ص ٣١ و٨٠ و١٤٢ و١٦٥ و٢٥٨ و٣٠٧ .

ـــ أدب المهجر : لميخائيل نعيمة ـــ س ١٩٤٩ ع (ك ٢) ص ٤١ .

ـــ نزعات الأدب المهجري : للدكتور عمر فروخ ـــ س ١٩٥٩ ع (ك ٢) ص ٤٦ .

الرابطة الأدبية (الدمشقية) :

ـــ نقد كتاب حكايات المهجر : لقدامة (؟) ـــ س ١٩٢١ ع ١ ص ٥٤ .

الرسالة (القاهرية) :

ـــ هو ذا تاريخ إنسان : لخليل الهنداوي ـــ س ٣ ص ٤٣٨ و٤٧٩ و٥١٩ و٥٥٩ .

ـــ الرسالة في عامها الخامس : لأحمد حسن الزيات ـــ س ٥ ص ٢ .

ـــ جبران والرمزية : لكامل الشرقاوي ـــ س ٦ ص ٩١٩ .

ـــ نقد الأجنحة المتكسرة : لزكي مبارك ـــ س ١٠ ص ٨٨ .

السائح (النيويوركية) :

ـــ أعداد متفرقة لسنة ١٩١٧ و١٩١٨ و١٩٢٠ .

ـــ والعدد الممتاز لسنة ١٩٢٥ .

ـــ والعدد الممتاز لسنة ١٩٢٧ .

ـــ والعدد الأول الصادر بتاريخ ٢٣ يناير ١٩١٢ .

السمير (النيويوركية) :

ـــ مجموعات مختلفة للسنوات ١٩٣١ و١٩٣٢ و١٩٣٣ و١٩٣٤ و١٩٣٥ (موجودة بدار الكتب الوطنية ببيروت) .

السياسة الاسبوعية (القاهرية) :

ـــ الأدب المصري الحديث وأثره في تكوين الثقافة العربية : لسامي الكيالي ـــ س ١٩٢٦ ع ٦ .

ـــ الأدب العربي في العصر الحاضر : للمستشرق جيب ـــ س ١٩٣٠ ع ٢٠٤ ص ١ .

الصداقة :

نسيب عريضة الشاعر الثائر : لعبد المسيح حداد ـــ س ١٩٥٣ ع (٢٦ مارس) .

العروة (البيروتية) :

ـــ القصة العربية في النهضة الأدبية الأخيرة : لشفيق جحا ـــ س ١٩٣٩ ع ١٤ ص ٦٧ .

العصبة (البرازيلية) :

ـــ رسائل لجبران لم تنشر ـــ س ١٩٤٨ ع ٤ ص ٣٨٩ .

ـــ جبران كما يحدثنا عنه عبد المسيح حداد (١) و(٢) : ليوسف البعيني ـــ س ١٩٤٨ ع ٤ ص ٣٦٧ و ع ٥ ص ٤٤٢ .

ـــ أمين الريحاني : ليوسف البعيني ـــ س ١٩٤٩ ع ١٠ ص ١٠٣٣ .

ـــ رسالة من نعيمة إلى شفيق المعلوف ـــ س ١٩٥٢ ع ٢ ص ١١٣ .

ــ الناحية المهملة في أدب جبران : لنعيم أميوني ــ س ١٩٥٢ ع ٨ و٩ ص ٦٨٤ .
ــ نقد مرداد : لشفيق المعلوف ــ س ١٩٥٣ ع ١ ص ٣ .
ــ رسالة من نعيمة إلى حبيب مسعود ــ س ١٩٥٣ ع ٢ و٣ ص ٢٠٧ .

الفنون (النيويوركية) :

ــ المجموعة الكاملة (موجودة بمكتبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة) .

القلم الجديد (الأردنية) :

ــ الريحاني وجبران : لألبرت الريحاني ــ س ١٩٥٢ ع ١ ص ١٠ .
ــ الإنسانية في الأدب المهجري (١) و(٢) : لصالح جواد الطعمة ــ س ١٩٥٣ ع ٨ ص ٢٩ و ع ٩ ص ٣٥ .
ــ أخي نسيب عريضة : لنقولا عريضة ــ س ١٩٥٣ ع ٨ ص ٥ .
ــ رسالة من نعيمة إلى عيسى الناعوري ــ س ١٩٥٣ ع ٨ ص ٢٥ .
ــ عبد الميسح حداد روح الرابطة القلمية : لأحمد زكي أبي شادي ــ س ١٩٥٣ ع ١٢ ص ٣٢ .
ــ العدد الثاني عشر من المجلة للسنة نفسها ١٩٥٣ (خاص بأدب المهجر) .

الكاتب (القاهرية) :

ــ حديث مع ميخائيل نعيمة : للدكتور عبد الكريم الأشتر ــ ع ٢ س ١٩٦١ ص ٥٥ .
ــ حديث مع عبد المسيح حداد : للدكتور عبد الكريم الأشتر ــ ع ٤ س ١٩٦١ ص ٤٣ .

الكتاب (القاهرية) :

ــ رد خليل الهنداوي على نقد سيد قطب للبادر ــ س ١٩٤٦ ع ٧ ص ١٦٤ .
ــ رد سيد قطب على رد الهنداوي ــ س ١٩٣٦ ع ٨ ص ٣٢٧ .
ــ خليل جبران : كتاب واحد بقلم واحد : لعباس محمود العقاد ــ س ١٩٥١ ع ٢ فبراير ص ١٧٦.
ــ قاهر الموت (تمثيلية) : لميخائيل نعيمة ــ س ١٩٥٢ ع مايو ص ٥٨٤ .

المباحث (البيروتية) :

ــ السوريون من السلالة البيضاء ولو كره الأمريكيون ــ س ١٩٠٩ ع (ك ٢) ص ١٠٦٠ .
ــ السوريون في المهجر ــ س ١٩٢٤ ع (نوفمبر) ص ٦١ .

المجلة (القاهرية) :

ــ يوم مع ناسك الشخروب : لفوزي سليمان ــ س ١٩٥٩ ع ٣٥ ص ٥١ .

المشرق (البيروتية) :

ــ المهاجرة ، منافعها ومضارها : للخوري يوسف العمشيتي ــ س ١٤ ص ٣٤٤ .
ــ بدائع جبران خليل جبران وطرائفه : للأب لويس شيخو اليسوعي ــ س ٢١ ص ٤٨٧ .
ــ بين المشرق والسائح : لفؤاد أفرام البستاني ــ س ٢١ ص ٩١٠ .
ــ الريحانيات المنتنة : للأب لويس شيخو اليسوعي ــ س ٢٢ ص ٦٢٣ .
ــ المهاجرة وأضرارها : ليوسف أبي خاطر ــ س ٢٢ ص ٧٢٩ .
ــ الجوهر الفرد في أدب جبران خليل جبران (أربع مقالات) : لأمين خالد ــ س ٣٠ ص ٤٢٥ و٥٢٢ و٦٥٨ و٧٥٢ .
ــ على ذكر جبران (معلومات جديدة عن حياته وآثاره) : لفؤاد أفرام البستاني ــ س ٣٧ ص ٢٤١ .

المعرفة (الدمشقية) :

ــ حديث مع ميخائيل نعيمة : للدكتور عبد الكريم الأشتر ــ ع ٢٤ س ١٩٦٤ ص ١٠٣ .

المقتطف (القاهرية) :

ــ السوريون في الولايات المتحدة (ست مقالات) : لفيليب حتي ــ س ١٩٢٢ ص ١٦ و١٢٠ و١٨٢ و٢١٧ و٣٢١ و٤٣٣ .
ــ مقام جبران في الأدب المصري (نقلت عن السائح) : لفيليب حتي ــ س ١٩٢٩ ع مارس ص ٢٩٩ .

ــ ذكرى جبران : لأمين الريحاني ــ س ١٩٣١ ع أكتوبر ص ١٩٩ .
ــ إيليا أبو ماضي الشاعر : لإلياس أبي شبكة ــ س ١٩٣٢ ع أكتوبر ص ٣٠٥ .
المكشوف (البيروتية) :
ــ جبران خليل جبران كما أفهمه : لخليل تقي الدين ــ س ١٩٣٦ ع ٥٠ ص ٢ .
ــ العاهات الوراثية وعلاقتها المتينة بالعبقرية : لفؤاد حبيش ــ س ١٩٣٦ ع ٦٣ ص ٨ .
ــ ميخائيل نعيمة في صومعته : للعقيقي ــ س ١٩٣٦ ع ٧٠ ص ٨ .
ــ ميخائيل نعيمة يتقمص ألف مرة ومرة : للعقيقي ــ س ١٩٣٦ ع ٧٢ ص ٦ .
ــ ميخائيل نعيمة يتحدث إلى الصبي الأعرج : لميخائيل نعيمة ــ س ١٩٣٦ ع ٧٥ ص ٤ .
ــ تقديم مجموعة قصص لميخائيل نعيمة ــ س ١٩٣٧ ع ٨٥ ص ١ .
ــ المهاجر اللبناني . من هو ؟ وما هو حقه علينا ؟ : للدكتور حليم سعادة ــ س ١٩٣٧ ع ٨٥ ص ١٢ .
ــ هل ناسك الشخروب صاحب رسالة روحية ؟ : ليوسف الخال ــ س ١٩٣٧ ع ٨٥ ص ٧ .
ــ رسالة من نعيمة إلى يوسف غصوب ــ س ١٩٣٧ ع ٩٢ ص ٢ .
ــ القصة العربية بين ميخائيل نعيمة ومحمود تيمور : لزهير زهير ــ س ١٩٣٧ ع ١٠٧ ص ٥ .
ــ عدد خاص بجبران ــ س ١٩٣٧ ع ١١١ .
ــ لنعيمة فضل السبق في مضمار القصة العربية : ليوسف رزق الله باسيلا ــ س ١٩٣٧ ع ١١٧ ص ٨ و١٦ .
ــ المحبة في نبي جبران وزرادشت نيتشة : لإلياس أبي شبكة ــ س ١٩٣٩ ع ١٨٧ ص ٣ .
ــ العناصر التي تغذت منها نفس جبران : بشريّ أم نيتشة أم بليك أم نعيمة : لحليم كنعان ــ س ١٩٣٩ ع ١٩٤ ص ١٢ .
ــ ناسك الشخروب رجل فوق الغايات والأهواء .
جبران ونعيمة سراجان على منارة واحدة : ليوسف أبي رزق ــ س ١٩٣٩ ع ١٩٩ ص ١٤ .
ــ هكذا تكلم ناسك الشخروب ، أيام مع ميخائيل نعيمة (١) و(٢) : ليوسف أبي رزق ــ س ١٩٣٩ ع ٢٠٠ ص ٥ و ع ٢٠١ ص ٧ .
ــ ساعة عند ناسك الشخروب : لهاشم حسن الأمين ــ س ١٩٣٩ ع ٢١٣ ص ٨ .
ــ في زيارة ناسك الشخروب : ليوسف طعمة ــ س ١٩٣٩ ع ٢٢٨ ص ٤ .
ــ شرارات فلسفية حول موقد نار (سهرة عند ميخائيل نعيمة) : لعبد الله غانم ــ س ١٩٤٠ ع ٢٣٦ ص ٣ .
ــ أمين الريحاني أديب فكر : لرئيف خوري ــ س ١٩٤٠ ع ٢٧١ ص ٩ (عدد خاص بالريحاني) .
ــ لماذا لم يكن أمين الريحاني عضواً في الرابطة القلمية ؟ : لتوفيق يوسف عواد ــ س ١٩٤٠ ع ٢٧١ ص ١٢ .
ــ رسائل جديدة من مي إلى جبران : لفؤاد حبيش ــ س ١٩٤١ ع ٣٢١ ص ١ .
ــ أثر أدباء روسية في نفس ميخائيل نعيمة : لابن جبير ــ س ١٩٤١ ع ٣٢٥ ص ١ .
ــ الرومانتيكية اللبنانية : لفاضل سيد عقل ــ س ١٩٤٢ ع ٣٤١ ص ٥ .
ــ جبران ومي عبد المسيح : لجميل جبر ــ س ١٩٤٩ ع ٤٧٢ ص ٣ .
الهلال (القاهرية) :
ــ المهاجرون السوريون في الولايات المتحدة : لفيليب حتي ــ س ١٩١٩ ع أكتوبر ونوفمبر ص ١٢٢ .
ــ تقديم كتاب الأرواح المتمردة ــ س ١٩٢٠ ع أكتوبر ص ١٠٢ وع حزيران ص ٨٥١ .
ــ تقديم كتاب حكايات المهجر ــ س ١٩٢١ ع تموز ص ٩٩٠ .

ـــ كلمات مأثورة لجبران ـــ س ١٩٣١ ع حزيران ص ١٢١٥ .
ـــ نثرات لرسائل لم تنشر لجبران ـــ س ١٩٣٤ ع مارس ص ٥١٣ .
ـــ المرأة في حياة جبران : لحبيب جاماتي ـــ س ١٩٤٧ ع فبراير ص ٩٧ .
ـــ جبران .. هل كان غامضاً ؟ : لحبيب جاماتي ـــ س ١٩٤٩ ع ابريل ص ٥٩ .
ـــ ساعة مع روح جبران : لوديع ضومط ـــ س ١٩٥٣ ع مايو ص ٤٢ .

المراجع

١) جامعة الرياض . عمادة شئون المكتبات . ـــ فهرس مكتبة خير الدين الزركلي . ـــ الرياض : الجامعة ، ١٤٠١ . ـــ ٥٤٦ ص .

٢) جورج صيدح . أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية . ـــ ط ٣ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ـــ ٧٤٢ص .

٣) عامر ابراهيم القنديلجي . ـــ العرب في المهجر الأمريكي . بغداد : وزارة الأعلام ، ١٩٧٧ . ـــ ١٥٧ ص .

٤) عبد الكريم الأشتر . ـــ فنون النثر المهجري . ـــ ط ٢ . بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٩٦٥ . ـــ ٣١٠ ص .

٥) عيسى الناعوري . ـــ أدب المهجر . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٩ . ٦٢٨ ص .

٦) فيليب دي طرازي . تاريخ الصحافة العربية ، ج ٣ . بيروت : المطبعة الأدبية ، ١٩١٤ . ـــ ٥٤٤ ص .

٧) يعقوب العودات . ـــ من أعلام الفكر والأدب في فلسطين . عمان : جمعية عمال المطابع ، ١٩٧٦ . ص ص ٦٥٤ ، ٥٠٦ ، ٤٩٧-٤٩٨ ، ٣٨٩- ٣٩٤ ، ٣٠٨-٣١٠ ، ٢٨٤-٢٨٥ .

٨) - Aman, Mohammad M. - Arab periodicals & serials.- NY: Garland, 1979.- pp. 8-13

٩) - Chandras, K. V.- Arab,... Syrian, Lebanese... Americans. San Francisco, Calif.: R & E Research Associates, 1977.- pp 1-30, 54-71.

من قراءة في رسالة الغفران بتحقيق عائشة عبد الرحمن

إبراهيم السامرائي

أبدأ هذه القراءة بالنظر في « مقدمة الطبعة الثالثة » .

غير أني أجد أنه من المفيد أن أقول أني كنت كثير النظر في آثار أبي العلاء التي انتهيت منها إلى أن أبا العلاء المعري لغوي بل نحوي ثم أديب ناقد ثم شاعر ، ورُبما كان الشعر ليس شيئاً إلى جانب هذه المعرفة اللغوية التي تضعه مع المشاهير من علماء العربية . ولا أريد أن أستدل على هذا بما قيل في أخباره أنه عكف على كتاب سيبويه ، وأن له فيه شرحاً ونظراً ، وأن له في النحو مصنفات ، ولكني أستدل على علمه في اللغة والنحو مما استخلصته من « الغفران » . وليس هذا وحده مما يقف عليه الدارس في هذا الكتاب الجليل ، فإنه ليقف فيه على الشعر وروايته ونسبته ، وتصحيح ما جاء فيه من الادراك اللغوي والنحوي ، ومعانيه وما قيل في توجيهها من الشيء الكثير ، وإنك لواجد في جميع ذلك قولاً حسناً وتوجيهاً مقبولاً لأبي العلاء نفسه . ثم أنك واقف على طائفة من الآراء في المذاهب والعقائد مما هو معروف لدى المسلمين ، وشيئاً آخر يتصل بالكفر والالحاد لأولئك الذين كادوا للاسلام .

ولا أريد أن يفهم القارىء أني جعلت هذه الفوائد العلمية التي اشتمل عليها الكتاب مادته ، أو قل الغرض الذي سعى إليه المؤلف ، على نحو ما جرى لأصحاب « المقامات » الذين جعلوا اللغة واستعمال الغريب وما جاء من الفرائد والأوابد غرضهم ، وليس « الاطار » الضعيف من مادة « القصص » وحواشيها في المقامات وهو أن تأتي هذه الفوائد على لسان أحدهم كهمّام بن غالب أو غيره من المناكير المجهولين الذين جعلهم أصحاب المقامات « الحُكاة » أو قل « الرواة » .

قلت : ليس كتاب أبي العلاء شيئاً من هذا وذلك أن الرحلة إلى النعيم ثم إلى الجحيم كانت مقصودة وأن صاحب الرحلة المتخيّلة هو أبو العلاء ، وأنه صنفها لتكون جواباً عن رسالة ابن القارح على بن منصور التي سنبدأ الكلام عليها لأن المحققة صدرت بها « غفران » المعري .

قلت : إنّ الرحلة المتخيلة قد قصدت لذاتها وليست هي حواشي ضئيلة استدعاها ذكر الفوائد اللغوية أو غيرها مما عرضت له ، وذلك لأننا نجد أن المؤلف قد تهيأ لها فقد جاء في خلال هذه شيء من المشاهد التي أثبتها بصور فنية مستفادة من الاشارات التي توحي بها لغة التنزيل العزيز . وعلى هذا كان كتاب المعري هذا فناً وأدباً ونقداً وعلماً .

ولنعد إلى مقدمة المحققة للطبعة الثالثة :

أقول : وهذه المقدمة تشير إلى القدر الكبير من العناية التي اضطلعت بها المحققة في عملها في الدرس والتحقيق ، فقد غبرت زماناً تنقب عما يمكن أن يضيف إلى علمها فائدة جديدة مما ينشر من مصادر اللغة والأدب .

لقد أحسنت الاستاذة المحققة في مقدماتها ودرسها فقد التزمت بعربية تناسب أن تكون شيئاً في « أبي العلاء » وما ورد في كتابه من علم لغوي .

غير أني قرأت في هذه « المقدمة » قول « المحققة » :

(.... وأنّ المقاييس الأدبية عندنا بدأت تدِقّ وتصح ، لتضع « أبا العلاء » أديب العربية الأكبر في أفقه العالي . بعد أن لبث لمدى قرون ، بمعزل عن أجيال من أبناء العرب)[1] .

أقول : لابد من وقفة على قول المحققة « تدقّ » :

إن الفعل « دقّ » في العربية المعاصرة قد فقد شيئاً من دلالته الحقيقية . ذلك أن « الدقيق » نقيض الغليظ ، ولذلك يقال : دقَّ الخيط ، أي صار دقيقاً بمعنى أنه غير غليظ . وعلى هذا يكون القول « يَدِقّ » الشيء أي أنه دقيق ، و« المقاييس الأدبية » لا يمكن أن تفهم على هذه الدلالة . ومن هنا كانت « الدقّة » في عربيتنا المعاصرة تؤدّي معنى الإحكام والضبط والاتقان ، وهذا كله جديد ، ولم نعرف أن هذه الكلمة قد تُوسِّعَ فيها على هذا النحو في ترسّل القدماء .

وحين احتملت الكلمة هذه الدلالة الجديدة جاء منها شيء آخر هو « التدقيق » مصدراً لـ « دقّق » بمعنى أحكَمَ وضَبَطَ وأصابَ .

ولا أريد أن أقول : أن « الدقّة » بهذه الدلالة الجديدة من الخطأ ، بل أذهب إلى أن المعاصرين قد لمحوا وجهاً فتوسّعوا في الوصول إليه ، ولِمَ لا ؟

وجاء في هذه « المقدمة » أيضاً :

.... برغم ما تمتلىء به السوق من بضاعة رخيصة وهزيلة ، تُدَقّ لها أجراس الدعاية وطبول الاعلان ....(٢)

أقول : و« دَقّ الاجراس » مولّد جديد ، ولعله مما ترجم من المجازات ذات الأصول الغربية التي تغرس أصولها في « نصرانية » واضحة . وكنت أود لو خلت « المقدمة » من هذا الوافد الجديد ، وذلك لأن حيّز الاستعمال هنا يتصل بالأدب العلائي ، وهو شيء عتيق نفيس لا يحسن به حلية جديدة وافدة . ولو أن المقام يتصل بمادة معاصرة لما كان من ضير في هذا .

ولعل من المفيد أن أقف وقفة أخرى على قول المحققة : « .... الدعاية وطبول الدعاية » .

أقول : جرى أهل التصحيح في اللغة على مذهب « قل ، ولا تقل » ، وقد اضطربوا في منهجهم فجاءوا بالصواب وغيره ، وبالغثّ والسمين . ومن لغطهم في هذا الباب : أنهم قالوا : استعمال « دعاية » من الخطأ ، والصواب « دَعاوة » ، وحجتهم أن الأصل واوي وليس يائياً .

أقول : والذي ابتدع هذه الكلمة على « فِعالة » أراد بها معنًى جديداً اقتضاه عصرنا وهو « الدِعاية » أو « الإعلام » ،وأهل الصحافة ، ورجال السياسة يعرفون المراد بهاتين الكلمتين . إذن دلالة الكلمة جديدة ، وإن هذا الجديد يستدعي « مصطلحاً » فكانت « الدِعاية » وكان « الإعلام » ، ولا أريد أن أسرف في الكلام على هذه الخصوصيات التي أدركها الجمهور بله أهل الاختصاص .

وأقول أيضاً : إن الذي ذهب إلى خطأ استعمال « دعاية » لم يدرك علم العربية وأنه يهرف بما لا يعرف ويكتفي بالقليل من العلم اللغوي الذي يكتفي به الشُداة .

وعلى هذا يكون في رأيي الذهاب إلى صواب المعربين في استعمالهم « دِعاية » ، وأنهم في ابتداعهم هذا البناء لهذا المعنى الجديد كانوا على عرق من الفصاحة ، وجروا منها على سليقة عربية فصيحة ، والقول بالاصل الواوي ليس بشيء .

لو أدرك هؤلاء ذَرءاً من العلم الصوتي في العربية لعرفوا أن هذه اللغة تتجاوز عن هذه القاعدة التي أشاروا إليها وهي المواد الأصلية فتكون الكلمة بالياء ، مع وجود هذا الأصل .

ألا ترى أن « دُنيا » و « عليا » صير فيهما إلى الياء والأصل فيهما الواو جَرْياً على قانون « المخالفة » ، والمخالفة تقتضي الياء لوجود الضمة في أولهما . وهذا يعني أن وجود الواو مع الضمة يؤلف ثقلاً ، وتفسير الثقل جري اللغة على الأخفّ ؟

ثم ألا ترى أن الكسرة تقتضي الياء ، ومن أجل ذلك صير إلى « ثياب » و « صيام » و « صيال » والأصل كله بالواو ؟

أقول : وعلى هذا جرى القائلون بـ « دِعاية » أو قل الذين ابتدعوها على سليقة فصيحة فالكسرة في الدال مؤذنة بالياء في الآخر وليس الواو مراعاة للأصل .

ونبدأ بعد هذا بالكلام على رسالة بن القارح على ابن منصور الحلبي التي أشارت المحققة فيها إلى اعتمادها على أصلين مخطوطين هما نسخة الشيخ طاهر الجزائري ، ونسخة أحمد تيمور باشا وقد جاء في الكلام على نسخة الشيخ طاهر قول المحققة :

.... « وعلى صفحة الفهرست توقيع الشيخ طاهر الجزائري سنة ٣١١ »(٣)....

قد تكون المحققة قد أرادت بـ « توقيع » ختم الشيخ أو اسمه مرسوماً بصورة خاصة كهيئة الطغراء وهذا كله لا يبيح لها أن تستعمل كلمة « توقيع » فالتوقيع والتوقيعات معروفة في دلالتها على ضرب مما يُحرّر نثراً تعليقاً موجزاً على شيء يقدَّم إلى الخليفة أو الأمير يُطلَب فيه حقّ أو نحو ذلك ...

وكأن المحققة جَرَت على المفهوم من « التوقيع » في عصرنا .

١ ــ وجاء في الصفحة ٢٢ قول ابن القارح في أول رسالته :

.... فإن وَهَبَ الله لي مَلاءً من العمر ..... صيرتُ كساري الليل ألقى عصاه وأُحمِدَ مسراه ، وقَرَّ عيناً ....

أقول : ولا وجه أن يكون الفعل « أُحمِدَ » مبنياً للمجهول ، والصواب أن يكون « أحمَدَ » مبنياً للمعلوم مثل « أكرَمَ » ، والمعنى : وجدته حميداً ، وأَحْمَدَ العمل ، وَجَدَه حميداً .

٢ ــ وجاء في الصفحة ٢٣ قوله :

.... وهيهات إضاق فِتر عن مسير ، ليس التكحُّل في العَينَين كالكَحَلِ ...

أقول : وقوله : « ليس التكحُّل ... » هو شيء على طريقة التضمين ، لأنه عجز بيت للمتنبي .

وهذا هو البيت :

لأن حلمَكَ حلمٌ لا تَكَلَّفُه   ليس التكحُّل في العَيْنَيْن كالكَحَلِ

وكأن المحققة لم تفطن إلى هذا فلم تشر إلى ما ضَمّنه ابن القارح في الحاشية .

٣ — وجاء فيها أيضاً قوله :

.... وثَمَدَ غَمرُه ....

وقد علقت المحققة على الفعل « ثَمَدَ » فقالت في الحاشية :

الثمد : القليل ، وفي « الأساس » عن الأصمعي : هو ماء المطر يبقى محقوناً تحت رمل إذا كشف أدّته الأرض . ومن المجاز : رجل مثمود كثر عليه السؤال حتى أنفدوا ما عنده .

أقول : لو اكتفت المحققة بقولها : الثمد هو القليل ، لصنعت خيراً ، وذلك لأن الشيء الآخر الذي اشتملت عليه الحاشية زيادة بل فضول لا حاجة به ، وقد يكون هذا الزائد شيئاً يسيء إلى الدارس فيشتت فهمه ، فلا يقف منه على المعنى المراد الذي جاء في النص . وما علاقة « ماء المطر يبقى محقوناً تحت رمل ... » . بالفعل « ثَمَدَ »الذي جاء في نص رسالة ابن القارح ؟

٤ — وجاء في الصفحة ٢٤ قوله :

.... وهَذَى وهَذَر ، وتعاطى فعَقَر ...

وعلقت المحققة في الحاشية على « تعاطى » فقالت :

تَعاطَى : تناول ما ينبغي له ، وتعاطى الأمر : خاض فيه .

أقول : لو اقتصرت المحققة على هذه الحاشية لصنعت خيراً ، ولكنها لم تفعل ذلك بل زادتها شيئاً غير مفيد في معنى « تعاطى » فقالت :

تعاطى الرجل : قائم على أطراف أصابع اليدين والرجلين مع رفع اليدين إلى الشيء ليس في متناوله ليأخذه .

أقول : وأي فائدة في هذه الزيادة غير النافعة التي ربّما أضرَّت ؟ وإذا كان هذا غير مقتضىً فلِمَ أتتْ به المحققة ؟

وإذا كان أيضاً أن تأتي المحققة بما لا ضرورة إليه أفلا تطالب بذكر سائر المادة ؟!

و « التعاطي » في العربية المعاصرة تعني المزاولة والممارسة فيقال : فلان يتعاطى كتابة القصة .

٥ — وجاء في الصفحة ٢٧ قوله :

.... وما لقيتُ في سَفَري من أقوام يدَّعون العلم والأدب ....

أقول : وكان ينبغي أن يكون الصواب « أَقْيَام » كما قالوا في « أثواب » « أثياب » ، وفي « أسياف » « أَسْيَاف » . ولعل هذا من الناسخ ، ولم تلتفت إليه المحققة . إننا لا نقول : « بُنْيوات » بل نقول « بُنَيَّات » كما نقول « نُسَيَّات » ، ونقول : « سُنَيّه » لا « سُنَيْوه » .

٦ — وجاء في الصفحة ٢٨ قوله :

.... وتدري بمواقع أفعالها ، بقصود وإرادات ....

أقول : جاءت الكلمتان « قصود وإرادات » وكلاهما مصدر مجموع والمفرد قصد وإرادة . والمصدر لا يجمع لدلالته على الحدث ، ولكنه حين يتحول إلى الاسم يجمع فكأن « القصد » ليس حَدَثاً أي مصدراً بل اسم يشتمل على ما يراد من المقصود ، وكذلك « الإرادة » كأنها الشيء المراد وقد كثر الجمع للمصدر بعد تحوله إلى الاسمية في العربية المعاصرة فقالوا : الأنشطة والنشاطات كما قالوا : النجاحات والإنجازات والاهتمامات وغير ذلك كثير .

٧ — وجاء فيها أيضاً :

ويحمله هذا الاعتقاد على أن يقرِّب لها القرابين ويُدَخِّن الدُّخن ...

أقول : والدُّخن هو البَخور ، ويقال : تدخَّن الرجل وادَّخن إذا تبخَّر .

وسمي البَخور « دُخناً » لأنه في الأصل من « الدُّخان » .

٨ — وجاء في الصفحة ٢٩ قوله :

حَكَى القُطْرُبُلي وابن أبي الازهر في كتاب اجتمعا على تصنيفه ...

أقول : وقوله : « اجتمعا في تصنيفه » بمعنى صنّفاه بالمشاركة في لغتنا المعاصرة .

٩ — وجاء فيها قول المحققة في الحاشية :

بغداد : عاصمة العراق ...

أقول : وهل كانت حاجة تستدعي هذه التعليقة غير المفيدة ؟ بغداد علم مشهور لأي قارىء من العرب وغيرهم ، وإذا كان الكلام على شيء من عصر المعرّي فهل يحق لنا أن نستعمل كلمة « عاصمة » ، والعاصمة مصطلح حديث ، ولم يكن لدى القدماء ولا في عصر الدولة العباسية هذا المصطلح . كانوا يقولون : حاضرة العباسيين . ودلالة « العواصم » مع « الثغور » معروفة .

١٠ — وجاء في الصفحة ٣٠ قول أبي نواس :

تيهُ مُغَنٍّ   وظُرْفُ زنديق

أقول : والصواب : « وظَرْف زنديق » بفتح الظاء .

١١ ــ وجاء في الصفحة ٣١ قوله :
وأخذ غفلته السيّاف فاذا رأسُه يَتَدَهْدَأُ على النِّطع ...

أقول : وعبارة« أخذ غفلته السيّاف » بمعنى أدرك غفلته وأنتهزها فرصة للإهواء بالسيف عليه : والعبارة جميلة لعل شيئاً منها مازال في الألسن الدارجة .

ولعل الأصل في « يَتَدَهْدَأُ » هو« يَتَدَهْدَى » ، وربما رسمت الكلمة بالألف القائمة فحسبتها المحققة ألفاً فوقها همزة ...!!

١٢ ــ وجاء في الصفحة ٣٢ قوله :
.... فأنفذ إليه (والضمير يعود إلى أحد الزنادقة خرج على المهديّ في ماوراء النهر) المهديّ فأحيط به وبقلعته فحرق (كذا) كل شيء فيها ....

أقول : الفعل « حَرَق » مجرّداً لا يؤدي المعنى بل ينصرف إلى غير الإحراق والتحريق ، والذي في النص يُراد به شيء من الإحراق والتحريق ، وعلى هذا فهو الفعل المزيد بالتضعيف وكان ينبغي أن يُضبط على هذا النحو « فحُرِّق » .

١٣ ــ وجاء في الصفحة ٣٣ في الكلام على الوليد بن يزيد :
وأحضر بنابجةً من ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر عليها صورة رجل فسجَدَ له وقبّله وقال : اسجُدْ له يا عِلْج ! قلت : ومن هذا ؟ قال : هذا « ماني » ....

وعلقت المحققة على « بنابجة » فقالت :
هكذا في النسخ الثلاث ، بالياء ، وفي ردّ أبي العلاء بالغفران [البنابجة] ولم نهتد إلى معناها بعدُ .

أقول : والذي افترض أن يكون معنى « بنابجه » بالهاء لا التاء هو شيء من العدد « بنج » أي « خمسة » باللغة الفارسية ، ومن النص قد أفهم أنها قنينة أو وعاء فيه جوهرة على صورة رجل هو « ماني » معبود المانوية المعروف .

أقول : لعل « القنينة » هذه ذات خمسة أوجه ، والذي قوّى عندي أن تكون من العدد الفارسي « بنج » ما وجدته في الصفحة التالية (٣٤) من استعمال الوليد بن يزيد نفسه لعدد آخر بالفارسية قد حوله إلى مصدر فقال :
« والله لأشربن الهفتجة » وقد شرحها ابن القارح في رسالته فقال : يعني شرب سبعة أسابيع متتالية .

أقول : « والهفتجة » على هذا من العدد « هَفْت » أي سبعة بالفارسية ، وقد تحوّل إلى مصدر « هفتجة » لإفادة طريقة في الشرب سبعة أسابيع متتالية .
ثم استعمل الوليد بن يزيد فعلاً من « الهفتجة » فقال :

.... ورأيت رأسه في الباطية التي أراد أن يُهَفتِج بها .

١٤ ــ وجاء في هذه الصفحة أيضاً قول المحققة في التعليق على « دمشق » :
دمشق عاصمة سورية (كذا)

أقول : وهذا نظير قولها : بغداد عاصمة العراق !!

١٥ ــ وجاء في الصفحة ٣٦ قول ابن القارح :
.... ويدّعي فيه أصحابه (أي أصحاب الحلاّج) الإلهية ...

أقول : والإلهية مصدر صناعي وهو الألوهية أيضاً ، وهذه الأخيرة أشيع منها وهي التي بقيت في العربية المعاصرة .

١٦ ــ وجاء فيها أيضاً في قول لعلي بن عيسى الوزير حين ناظر الحلاّج :
.... ما أحوَجَك إلى أدب ...

أقول : و « الأدب » هنا تعني العقاب والجزاء ، وذلك في تعزير الحسين بن الحلاج الذي أشتط في إلحاده ومروقه .

١٧ ــ وجاء في الصفحة ٣٩ في الكلام على أحمد بن يحيى الراوندي :
وكان من أهل مَرْو الروذ ... حسن السِّتْر جميل المذهب ، ثم انسلخ من ذلك كله ....

وقد علّقت المحققة على « حسن الستر » فقالت : لعلها محرفة عن « السيرة » كما جاء في (معاهد التنصيص ٧٦/١)مشاراً إليه في مقدمة (كتاب الانتصار ــ ط مصر) .

أقول : وهذا الذي استرجحته المحققة معتمدة على ما جاء في « معاهد التنصيص » جائز ، ولكني أقول : أن « المستور » من الكلم الدائر في النصوص العباسية وهو صفة للوقور الجليل البعيد عما يضطرب به الناس ، وكأن « حسن الستر » شيء من هذا ، وهو السِّتر بكسر السين لإفادة الاسمية لا « السَّتْر » بمعنى الحدث أي المصدر .

١٨ ــ وجاء في الصفحة ٤٩ في الكلام على غزوة تبوك :
.... ويجعل (أي الله) كل شيء « لا شيء » يُجمّد المائعات ويُميع الجامدات ....

أقول : وقوله « لا شيء » يشعر أن المؤلف عدّها كلمة مركبة بمنزلة الكلمة الواحدة وهذا يقوّي ذهاب المعاصرين في إفادة التركيب من « لا » النافية ومدخولها نحو اللاشعور ، واللاوعي واللاسلكي وغيرها .

وقوله : « المائعات » للدلالة على « السوائل » في العربية

المعاصرة ، و « المائعات » هي كلمة أهل هذه الصنعة القديمة التي تعني الكيمياء في عصرنا .

والذي أراه أن الفعل« يُجمِدُ » والماضي أجمَدَ لا جَمَّدَ .

١٩ — وجاء في الصفحة ٥١ قوله :
يا دنيا .... يا مُرَنَّقَةَ الصَّفا ويا ناقضة الوفا

أقول : المقصور والممدود قد يتحدان في المعنى نحو البُكا والبُكاء مع اختلاف في كثرة استعمال الممدود كما في البكا والبكاء أو العكس كما في الرضا والرضاء . وقد يختلفان في المعنى نحو الصفا والصفاء ، والحَيا والحياء ، فالصَّفا هو الحجارة وواحدته صفاة ، والصفاء مصدر صفا يصفو ، والحَيا ، مقصوراً ، هو المطر ، والحياء بالمد معروف ومثل هذا الغِنَى والغِناء .

وعلى هذا فإني أسترجح أن تكون « الصفا » في النص ممدودة لأن المقصور وإن كان يؤدي ما يؤديه الممدود فإنه يفيد معنى آخر كما أشرنا ولهذا استبعده ، ويؤيد هنا الذي ذهب إليه أن المعطوف عليه وهو « الوفا » مقصوراً قليل الاستعمال وأكثر منه الممدود « الوفاء » فإذا جرينا على المد في كليهما توفر المعنى واستقام السجع الموزون .

٢٠ — وجاء فيها أيضاً :
.... وأرهقَت نُضرتَه وحشيّة الفراق ....

وقد علقت المحققة فقالت :

في « ل » ، « ي » (أي المخطوطين اللذين أشير إليهما في المقدمة) : نضرة وحشية ، وفي « ع » : نضرته وحشيته ...

وكأن المحققة قد تصرَّفت فأثبتت غير ما في الأصول الثلاثة اعتماداً على أن ما أثبتته هو الوجه المسترجح .

أقول : ولِمَ لم تفكر في أن الصواب : وحشة الفراق لا وحشية .

وإذا كانت الأصول الثلاثة أصولاً متأخرة فهل لنا أن نسترجح ما يرد فيها ولا نتخطاه إلى غيره مما يقره الفهم السليم .

٢١ — وجاء في الصفحة ٥٣ قوله :
.... جلَّ مَن لوالب القلوب والهمم بيده ...

وقد علقت المحققة فقالت : وفي اللسان : قاله أبو منصور : لا أدري أعربي أم معرّب ، غير أن أهل العراق ولعوا باستعمال اللولب ..

أقول : ومازال اللولب كثيرا في استعمال العراقيين في اللسان الفصيح والدارج .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٥٤ قوله :
.... إن كان الذباب بوجهك فأتّهِمُك ، وإن قطَّعتُ أعضاءك فلا تَتَّهِمْني .

أقول : لابد أن يكون الوجه الصحيح :
إنْ كان الذباب بوجهك فأني أو فأنا أتّهِمُكَ ، لأن جواب الشرط لا تقترن به فاء الجزاء وهو فعل مضارع بل يكون ذلك في ثمانية مواضع هي الجملة الاسمية أو الفعلية التي فعلها طلبي أو مضارع مسبوق بـ « ما » أو « لن » أو بالسين أو سوف أو مبدوءة بفعل جامد نحو ليس وعَسَى .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٥٧ قوله :
ولا أرضَى بأن يُجرَى علينا كالولدان والنسوة ....

أقول : وقوله : « يُجرَى » أي يُغار علينا ويُعتدَى .

٢٤ — وجاء في الصفحة ٦٠ قوله :
وقلتُ : أنا ذاكر قول أبيك لي ، ولك ، وللبَتّي الشاعر .... ونحن في « الطارمة »

قالت المحققة في التعليق على « الطارمة » : بيت كالقبّة ، أعجميّ معرّب .

أقول : مازالت « الطارمة » في العمارة العراقية ، وهي مساحة مرصوفة تكون أمام الحُجرة في العمارة القديمة وهي مسقوفة تتخذ للجلوس في أنها مفتوحة من الجهة الأمامية .

٢٥ — وجاء في الصفحة ٦٢ قوله :
.... ولا يطور السهو بناديه ....

وقوله : يطور بمعنى يحوم ويقرب ، وفي « الأساس » : أنا لا أطور بفلان ، أي لا أحوم حوله ولا أدنو منه .

أقول : و « طار يطور » ليست بعيدة عن « طارَ يطير » ، ومن الأولى جاء المصدر « طَور » وتحوّل في الاستعمال إلى معنى « تارة » أو « مرة » .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٦٧ قوله :
.... كنت مع أبي بكر الشبلي ببغداد ... فرأينا شادياً قد أخرَجَ من التنور حَمَلاً كأنّه بُسْرةٌ نضجاً ...

وقد علقت المحققة فقالت : البُسرة واحدة البُسر وهو التمر الغض ، والبُسْر أيضاً : الغضّ من كل شيء .

أقول : والتعليق معوز لا يفي بالمراد ، وذلك لأنّ البسرة واحدة البُسر التي اصفر لونها واحمّر ، وعلى هذا يصح التشبيه

في قول المؤلف ، وليس « الغضّ » كافياً لشرح المراد .

أما قول المحققة : البُسر الغضّ من كل شيء فزيادة مخلة لا حاجة بها .

ثم نأتي إلى رسالة الغفران ونجد المحققة قد قدمت لها بمقدمة عرضت فيها للنشرة القديمة (طبعة هندية) ثم تكلمت على منهجها في التحقيق وعلى النسخ المخطوطة وقد صنفتها في مجموعات ، وكلها نسخ متأخرة ماعدا نسخة كوبريلي التي ترجع إلى القرن السابع الهجري .

وقد جاء في الكلام على مجموعة « ب » في الصفحة ٨٦ :

.... وقول الأستاذ « تيمور » وهو هاوٍ مطّلع ، ذو خبرة بالكتب ...

أقول : قول المحققة « هاو » من الكلم الجديد ، وقد فات المحققة أن الفعل « هَوِيَ » لم يُسمَع الوصف على « فاعل » وهو « هاوٍ » مثل « هادٍ » و « داعٍ » ، بل يأتي منه الوصف على « فَعِل » وهو « هَوٍ » مثل « فَرِح » .

ولنبدأ النظر في « الغفران » لنقف على مسائل يحسن الوقوف عليها وهي :

١ ـــ وجاء في الصفحة ١٤١ في الكلام على طيبات « النعيم » قوله :

.... وسُعُد من اللبن متخرِّقات ....

أقول : و« السُّعُد » جمع سعيد ، وهو النهر الصغير ، والسواعد مجاري الماء إلى النهر ، وسواعد البئر : مخارج مائها ومجاري عيونها .

ومازالت هذه الكلمة معروفة لدى القرويين في جنوبي العراق .

٢ ـــ وجاء في الصفحة ١٤٢ قوله :

.... تلك هي الراح الدائمة ، لا الذميمة ولا الذائمة ....

أقول : لعل الصواب : المذيمة ، ذلك لأن الفعل « ذامَ » بمعنى « عاب » والمذيمة هي « المعيبة » . والذي يقوي أن تكون الكلمة « مذيمة » وجود « الذائمة » ، ولو كانت « الذميمة » لاقتضى ذلك أن تكون الأخرى « الذامّة » .

٣ ـــ وجاء أيضاً قوله :

بل هي كما قال علقمة مفترياً ولم يكن لعفو مفترياً

أقول : والعَفو طلب المعروف ، والعافي طالب المعروف .

٤ ـــ وجاء في الصفحة ١٤٣ البيتان :

سيُغني أبا الهندي عن وَطْب سالِمٍ
أباريق لم يَعْلَق بها وَضَر الزُّبْد

مُفَدَّمـــة قَزّاً ، كأنَّ رقابَهــا
رقابُ بنات الماء أفزَعَها الرعد

وقد علقت المحققة على « مُفَدَّمة » بقولها : بمعنى مغطاة أو مكسوّة .

أقول : و « المفدَّمة » المسدودة أو المشدود عليها بـ « الفِدام » وهو ما تُسَدّ به القارورة كالعِفاص .

٥ ـــ ويمضي أبو العلاء ناعتاً خمرة النعيم بأحسن الأوصاف فيذكر خمرة عدي بن زيد وليس لها أن تدرك خمرة النعيم ويشير إلى قافيته التي يقول فيها :

ودَعَا بالصبوح فجراً فجاءت
قينـــة في يمينها إبريـــق

وما قيل من أن ديوانه في « دار العلم » قد خلا من هذه القصيدة .

٦ ـــ ثم يأتي إلى الحديث عن الأقيشر الأسدي فيقول :

فإنّه مُنِي بقاشر ، وشَقِيَ إلى يوم حاشر ....

وقد علقت المحققة على « قاشر » قائلة :

القاشر والقاشور من الخيل : الجاري في آخر الحلبة ، واستعمل اللفظ في التأخر والشؤم .

وأقول : وليس في النص ما يشير إلى هذا المعنى ، والذي أراه أن « القاشر » صفة للعام فيقال : عام أقشر ومثله قاشر أي مجدب ، وكذلك عام قاشور ، وأين هذا من الخيل كما ذهبت المحققة ؟!

٧ ـــ وجاء في الصفحة ١٤٧ قول الأقيشر الأسدي :

أفنَى تِلادي وما جَمَّعت من نَشَبٍ
قَرْع القواقيز أفواه الأباريـــق

وقالت المحققة في تعليقها :

القواقيز : الكئوس الصغار ، جمع قازوزة .

أقول : والقواقيز لا يمكن أن تكون جمعاً لـ « قازوزة » بل هي جمع « قاقوزة » . والقاقوزة والقاقزّة والقازوزة بمعنى .

٨ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قوله :

ما هو وما شرابه ؟ تقضَّت في الخائنة آرابُه ....

وعلّقت المحققة على « الخائنة » بقولها : ويمكن أن تقرأ :

« الحانية » كما في « ش » وهي الماخور أو بيت الخمر .

أقول : ولا يمكن أن تقرأ « الحانية » لأن « الخائنة » بمعنى الحياة الدنيا الفانية هي المقصودة أي أن هؤلاء الجاهليين الذين ضلوا في الحياة الدنيا ليس لهم في الحياة الأخرى إلا الجحيم يصلون النار والعذاب ، والنص كله يشير إلى هذا .

٩ — ويمضي المؤلف في وصف النعيم فيشير إلى الأنهار الجارية وفي تلك أوان على هيئة الطير السابحة .... ينبع من أفواهها شراب ، وكأنه أراد أن يقول : وأين منه أشربة الدار الفانية كخمر عانة وأذرعات .... والفلسطية ...

أقول : والفلسطية هي المنسوبة إلى فلسطين ، وهذه النسبة في لغة من رأى في الياء والنون أو الواو والنون كما في « فلسطون » زياد للجمع على طريقة المذكر السالم نظير نصيبين ونصيبون ، وطور عبدون وطور عبدين .

١٠ — ومضى يذكر أصناف الخمرة المنسوبة إلى البلاد كخمر بابل وخمر حريفين وغيرها ، كما ذكرت الجِعة والبِتع والمِزْر والسُكُرْكة وغيرها ...

وقد علقت المحققة على « الجعة » بقولها : الجعة ما يسمّونه البيرة أي نبيذ الشعير .

أقول : وليس من المناسب أن تشرح الجعة فيقال : هي البيرة ...!

١١ — وذكر من طيبات الجنة « العسل المصفّى » كما أشارت الآية « .... وأنها من عَسَل مصفى » فتعلّق بالشاعر الجاهلي النمر ابن تولب فقال : هل يقدر له أن يذوق ذلك الأري فيعلم أن شُهد الفانية إذا قيس إليه وُجِدَ يُشاكِه الشَرْي ، وهو لما وصف أمّ حِصن وما رُزِقَتْه في الدعة والأمن ، ذكر حُوّارَى بسَمْن وعسل مصفّى :

ألَمّ بصحبتي وهُمُ هجوع
خيال طارق من أمّ حِصْنِ
لها ما تشتهي عسلاً مُصَفّى
إذا شاءت وحُوّارَى بسَمْنِ

وأشار إلى حكاية خلف الأحمر في هذين البيتين وكيف للشاعر أن يقول لو كان موضع أمّ حصن « أم حفص » فقال خلف لأصحابه حين سكتوا : حُوّارَى بلمص ، (ص ١٥٤ — ١٥٥) وراح المعري يعقب على حكاية خلف فقال : ولو قال الشاعر : أمّ جزء في القافية لقال في البيت الثاني : وحُوّارى بكشء .

ثم مضى يفترض أشياء أخرى في هذه القافية ، وما ينبني عليها في البيت الثاني .

وهكذا نجد المعري يتخذ من مشاهد النعيم وسيلة في هذا النقد التاريخي الأدبي .

١٢ — وجاء في الصفحة ١٦٧ في ذكر أنهار الجنة :
وإذا مَنّ الله — تبارك اسمه — بورود تلك الأنهار صاد فيها الوارد سَمَك حلاوة ... لو بَصُر به أحمد بن الحسين لاحتقر الهدية التي أهديت إليه فقال فيها :

أقـل ما في أقلها سَمَك
يلعب في بركةٍ من العَسَلِ

فأنت ترى أن أبا العلاء ينظر إلى النعيم الباقي فيعاود النظر إلى الدنيا الفانية فيتذكر ما جرى للشعراء أو لغيرهم فيها .

وهكذا يتوفر لغة وأدب ونقد وأشياء أخرى ستأتي .

وقد علقت المحققة على أحمد بن الحسين وأشارت أنه أبو الطيب فمضت تترجم له .

أقول : وهل حاجة تدعو إلى هذه الترجمة وهي معروفة مشهورة ، ولو اكتفت بالقول : أنه أبو الطيب المتنبي لكان حقاً وكافياً .

١٣ — ثم يأتي إلى أهل الفردوس فيذكر منهم جماعة من النحاة اللغويين يحكي عن بعضهم فيقول : أخو ثمالة أي المبرد وأخو دَوس أي ابن دريد ، وابن مسعدة المجاشعي وهو سعيد أي الأخفش الأوسط ، ويونس بن حبيب وأبو العباس ثعلب ، ولا يفوته أن يشير إلى ما كان في الدنيا الفانية بين المبرد وثعلب من خلاف يتجاوز حدود النحو ولكنه يقول : قد تصافيا وتوافيا ، وجميعهم كما تشير الآية « ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سُرُر متقابلين لا يَمسّهُم فيها نَصَب وما هم عنها بمخرَجين » .

وإن ثعلباً والمبرد قد تصافيا فكانا كَندماني جذيمة ، وجذيمة هذا الابرش ملك الحيرة وقصته معروفة مع عديّ .وندماناه جذيمة مالك وعَقيل وقد أشار المعري لهما .

ويذكر سيبويه وما حصل بينه وبين الكسائي في مجلس البرامكة ، ويذكر من هؤلاء أبا عبيدة والأصمعي وما حصل لهما من خُلة صادقة في النعيم المقيم بطيباته التي استشهد عليها بقول الأعشى :

نازعتهم قُضُبَ الريحان مرتفقاً وقهوة مُزّةً راووقها خَضِلُ
....

وأبو عبيدة يذاكر أصحابه بوقائع العرب ومقاتل الفرسان ، والاصمعي ينشدهم من الشعر ما أحسن قائله كل الاحسان ، وهم يلعبون ويشربون ... ص ١٦٩ — ١٧٥

ويبدو له أن يركب نجيباً من نجب الجنة خلق من ياقوت ودر ويتنقل عليه ويسير في الجنة كمهده في الدار الفانية ، ومعه شيء من طعام الخلود ... متمثلاً بقول البكري (أي الأعشى) :

ليت شعري متى تَخُبُّ بنا النا قة نحو العُذَيب فالصَّيّبونِ
مُحقباً زُكرةً وخُبزَ رقاقٍ وحِباقاً وقطعةً من نونِ

وقد علقت المحققة فشرحت شيئاً من الكلم ومنه الزُّكرة وهو وعاء من جلد للخمر وقد أحقبه الشاعر أي علّقه في وسطه ، وهذا من « الحقاب » وهو شيء تشد به المرأة حليها وتشدّه على وسطها ، والحِباق نبات طيب الرائحة ، والنون الحوت ... والجُرْزة : الحزمة .

ثم قالت المحققة : وفي « ش » : جزرة ولعلها تصحيف ، أو هي واحدة الجزر النبات المعروف ...

أقول : قولها : « ولعلها تصحيف » حق ، وهو تصحيف أكيد ، ولا حاجة إلى القول « لعلها » ، وأما كلامها : « أو هي واحدة الجزر » فشيء لا يمكن أن يخطر في بال الدارس ، وهو فضول .

ثم يسرد أخبار الشعراء ، وكيف جاز الأعشى إلى النعيم وتخلص من عذاب النار وكان ذلك بما تم في شفاعة علي بن أبي طالب فيه ، ويروي شيئاً من داليته التي قال فيها :

فآليت لا أرثي لها من كلالةٍ ولا من حَفاً حتى تزور محمدا

ص ١٧٥ — ١٨٠

ثم يأتي خبر زهير بن أبي سلمى وما كان من أمره في الجاهلية ونفوره من عبادة الأوثان وذكره الله فاستحق الجنة كما استحقها عَبيد . وفي ذلك يروي من شعرهما مما أستحسن واستجاد ولا يفوته أن يعرض لشيء من اللغة في الهمزة ، وهمزة بين بين ...

ص ١٨١ — ١٩٠

وقد يعرض لمسائل نحوية ورأي سيبويه فيها مثلاً ، فهو يسأل عدي بن زيد عن قوله :

أرواح مودّع أم بكور أنت فانظر لأي حال تصير

وقد استشهد به سيبويه وزعم أن « أنت » يجوز أن يرتفع بفعل مضمر يفسره قولك : فانظُرْ ... ويقول المعري : وأنا أستبعد هذا المذهب ، ولا أظنّك أردته ، فيقول عديّ : دعني من هذه الأباطيل .... ويبدأ حديث بين المعري وعدي ينشد فيه الشاعر طائفة من شعره ...

ص ١٩١ — ١٩٥

ونقرأ في الصفحة ٢٠٥ كلاماً للنابغة وحكاية « المتجرّدة » فيقول :

لقد ظلمني من عَاب عليَّ ، ولو أنصف ، لعلم أنّني أحترزت أشدَّ احتراز . وذلك أن النعمان كان مُستهْتَراً بتلك المرأة ...

أقول : وقوله « مُستهْتَراً » من الفعل « استُهْتِر » بالبناء للمجهول بمعنى أولِعَ وفُتِن وأنصرَف بكل همّه . وهذا هو المعنى ، ولكن الفعل أنصرف شيئاً فشيئاً إلى الوَلوع بما لا يجلّ كالخمر والعبث مع المرأة فتحول إلى هذه الخصوصية وصار « استهتر » بمعنى « عَبَث » وارتكب مالا يحلّ من المحرّمات ، ثم أن صيغته تحولت إلى البناء للمعلوم .

ويشير إلى أن الشاعر قد يولّد الكلمة التي تلجئه إليها ضرورة القافية كما حصل للنابغة الجعديّ في قوله :

ولقد أغدو بشَرْبٍ أُنُفٍ قبل أن يظهر في الأرض رَبَشْ

وينشد الشاعر القصيدة فيقول المعري على لسان النقاد : وفي هذا الشعر ألفاظ لم أسمع بها قطّ : رَبَش وسُمْهة وتُخشَش .

ويعود المعري إلى إثبات أن هذه المواد مما قالته العرب ويستشهد عليها بما ورد عن أوائل اللغويين ص ٢٠٨ — ٢١٠

وهكذا يعرض المعري لمسائل في الأدب واللغة والنحو فيستنشد الشعراء ويذكر ما قاله اللغويون والنحاة والنقاد في شعرهم مما يتصل بمعنىً أو بمسألة نحوية أو نحو هذا .

ويذكر المعري غناء القيان بالفسطاط ومدينة السلام وما غَنّينَ من شعر المخبّل السعديّ ويقول : فتندفع تلك الجواري التي نَقَلَتْهن القدرة من خِلَق الطير اللاقطة إلى خِلَق حور غير متساقط تُلحّنُ « كذا » قول المخبل السعدي :

ذكر الرِّبابَ وذكرُها سُقْمُ وصَبَا، وليس لمَنْ صَبَا عَزْمُ

....

فلا يمر حرف ولا حركة إلاّ ويُوقِعُ مَسرّة ...

أقول : لعل الأصل « تُلحِنّ » بنون النسوة لا « تُلحّنُ » . ثم أن الواو بعد « إلاّ » زائدة ، والصواب : إلاّ يُوقِع مسرّة .

ص ٢٢٤ — ٢٢٥

ونقرأ في خلاف وقع بين النابغة الجعدي والأعشى جاء فيه :

فيغضب أبو بصير فيقول : أتقول هذا وإن بيتاً مما بنيتُ ليُعدَل بمئة من بنائك ...

أقول : و« البناء » هنا بمعنى النظم ، وهو شيء يناسبه ذكر « البيت » واستعارته لبيت الشعر فلما حصلت هذه الاستعارة أعطيت ما يتصل بها من لوازم ، والبناء للبيت أي الدار كالبناء للبيت وهو ما ينظم من الشعر . ص ٢٢٩

ويشتد الخلاف بين الشاعرين ويتحول إلى خصومة ويثب نابغة بني جعدة على أبي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول من تحدث المعري بلسانه : لا عربدة في الجنان ، إنما يعرف ذلك في الدار الفانية بين السِّفلة والهَجاج ، وإنّك يا أبا ليلى (أي الجعدي) لمُتَتَرِّع ...

أقول : وليس من وجه للتترّع هنا ، والصواب : لمُتَتَرِّع ، والترُع : السرعة . ص ٢٣١

وجاء في كلام لحسان حين عيب عليه قوله متغزلاً واصفاً ريق امرأة في قوله :

كأنّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجُها عَسَل وماءُ
على أنيابها أو طعمَ غضٍّ من التفّاح هصَّره اجتناء

ورد حسان على من عاب عليه أنه لم يقل إلا خيراً ، ولم يشرب خمراً ...

وقد شفع النبي ﷺ في أبي بصير بعدما تهكّم ... وزعم أنه مُستَر مفترياً أو ليس بمفتر ... ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥

و « التهكّم » التبختر والكذب ، وتجاوز الحدّ .

وقد علقت المحققة على « مستر » فقالت : كذا في النسخ بالسين المهملة ، فهل هي من الاستراء بمعنى السُّرى ...

أقول : وهذا الافتراض لا يؤيده النص ولا يمكن أن نصير إليه !

ونقرأ الحوار مع الشمّاخ فيقول له المعريّ : لقد كان في نفسي أشياء من قصيدتك التي على الزاي وكلمتك التي على الجيم فأنشدنيهما ... فيقول :

لقد شغلني عنهما النعيم الدائم فما أذكر منهما بيتاً واحداً ...

فيقول المعري : ..... أما علمت أن كلمتيك أنفع من أبنتيك ؟ ذُكِرتَ بهما في المواطن .... وأن القصيدة من قصائد النابغة لأنفع من ابنته « عقرب » .... فينشده :

عَفَا من سليمي بطنُ قَوٍّ فعالزُ ....

فيجده غير عليم ....

ويقول : إنما كنت أسيق هذه الأمور وأنا آمل أن أُفْقِر بها ناقة أو أعطَى لَيل عِيالي سنةً .

وقوله : أسق هذه الأمور أي أجمعها وأحملها ، وقوله : أُفْقِر أي أعار ، وهو من : أفقره أرضاً أي أعاره إياها يزرعها ، وأفقره ظهر مهره ، أي أعاره إياه ليركبه . ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩

ويأتي خبر ابن أحمر وهو مقيم في النعيم لأدبه في الدنيا فيسأله عن قوله :

بانَ الشباب وأخلَفَ العَمْرُ وتَغيَّـرَ الاخوانُ والدهـر

وما المراد بـ « العَمْر » أأراد البقاء أم الواحد من عمور الاسنان ...

وذكر القصيدة وجاء البيت الأخير :

خلّوا طريقَ الدَّيذَبون فقد وَلّى الصِّبا وتفاوت النَّجْر

وعلقت المحققة على الديذبون فقالت : هو الموت والداهية ، وقيل اللهو والغزل .

أقول : كأن المحققة لم تدرك ما « الديذبون » في بيت الشاعر ، ولذلك هي تسرد المعاني كلها ، وكان عليها أن تقتصر على « اللهو والغزل » .

وقد صنعت هذا الصنيع في شرح « النَّجْر » فذكرت : اللون والأصل والحسب وسوق الإبل والنكاح . ولو اقتصرت على « النكاح » لأصابت وأحسنت إلى النص والتحقيق العلمي .. ثم ألم تسأل نفسها ما علاقة « سوق الابل » بالكلمة في « البيت » ؟ ص ٢٤٠ ــ ٢٤٢

وجاء في الصفحة ٢٤٤ البيتان :

هل تُبلغنّي ديارَ قومي مَهريّـةٌ سيرهـا تلقيـفُ
يا أمّ عثمانَ نوّلينــي هل ينفع النائل الطفيفُ

أقول : لابد أن يكون عجز البيت الأول :

« مَهريّة سيرها لقيف »

ولقف الفرس : خبط بيديه شديداً ، ووزن البيت على « مخلع البسيط » يستدعي التصحيح . ص ٢٤٥

ويناقش المؤلف الشاعر ابن أحمر في صوغه « الزبرج » من لفظ « الزبرجد » والدال على زائدة من مذهب الخليل ويدخل الشاعر في النقاش ويُقر زيادة الدال ... ص ٢٤٥

ثم تحدث المؤلف عن الجنة وخازنها رضوان فيقول على لسان أحد الشعراء : اني عملت قصيدة في رضوان في وزن :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفانِ

ووسمتها بـ « رضوان » ثم ضانكت الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى فما حَفَل بي .

أقول : وقوله : « ضانكت » أي ضايقت ، وهو شيء نجده

في العامية ولا نراه في الفصيحة المعاصرة . ص ٢٤٩

وجاء في تكملة هذا الخبر المتقدم : فغبرتُ بُرهةً ، نحوَ عشرة أيام من أيام الفانية ، ثم عملت أبياتاً في وزن : « بانَ الخليطُ ولو طووِعت مابانا »

أقول : ودلالة « البرهة » على غير المعروف في العربية المعاصرة .

ويشير إلى ساكني الجنان ومنهم حمزة بن عبد المطلب وفاطمة بنت محمد ﷺ وأمّها خديجة بنت خويلد ...

ويأتي ذكر علي بن منصور الأديب الحلبي فيسأل عمن تعرفه فيقول : قاضي حلب عبد المنعم بن عبد الكريم فينادَى عليه فتبدو الزهراء وأخوها ابراهيم ، فتقول الزهراء لجارية من جواريها . يا فلانة أجيزيه ، فجعلت تمارسني وأنا أتساقط عن يمين وشمال فقلت : يا هذه ، إن أردتِ سلامتي فاستعملي معي قول القائل في الدار العاجلة :

ستّ إنْ أعياكِ أمري فاحمليني زقفونه

فقالت : وما زقفونه ؟ قلت أن يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك الحامل بيديه ويحمله وبطنه إلى ظهره .

..... فلما صرت إلى باب الجنة ، قال لي « رضوان » : هل معك من جواز ؟ فقلت : لا . فقال : لا سبيل إلى الدخول إلّا به ، فبَعِلت بالأمر .

أقول : والجواز معروف ، وهو ما بقي في قولنا ، « جواز السفر » وجمعه أجوزة .

وقوله : بَعِلَ بمعنى تحير ... ص ٢٥٦ — ٢٦١

وتقرأ بيت حُمَيد :

فجاءت بمعيوف الشريعة مُكلِع أرشّتْ عليه بالأكفّ السواعدُ

والمعيوف هو المكروه .

أقول : ومجيء « المعيوف » على مفعول يخالف المشهور من اسم المفعول من الأجوف لمبيع ومَقول وهذا يؤيد المشهور في الألسن الدارجة مبيوع ومديون . وقد سُمع : مدووف ومصوون ونحوهما .

ثم يتحول إلى الجحيم وأخباره والنازلين فيه وما يقاسون من صنوف العذاب والنار فيشير إلى أدب وشعر ولغة ومشكلات في العروض ، ثم ينتقل إلى أخبار الملاحدة والزنادقة فيشير إلى ما قالوا وفي جملة ذلك فوائد كثيرة .

أجتزيء بهذا القدر وهو قليل من كثير مما يستحق أن يقف عليه الدارسون .

الهوامش

(١) رسالة الغفران ص ٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ١٧ .

تاريخ مكتبة الحرم المكي

محمد خضر عريف

إن بداية تأسيس مكتبة الحرم المكي مرتبطة بوجود الكتب والمصاحف في الحرم المكي الشريف . ومما لا شك فيه أن وجود الكتب والمصاحف في المسجد الحرام قديم قدم الإسلام ، وإن الكتب الإسلامية وعلى رأسها المصحف الشريف كان لابد من أن يكون لها وجود في المسجد الحرام ، وإن لم يكن وجودها يعني بالضرورة وجود مكتبة بمعناها الاصطلاحي في الحرم المكي . وإن تكن مجموعات الكتب والمصاحف هي نواة المجموعات المكتبية لمكتبة الحرم المكي . فإن وجود خزائن الكتب في الحرم المكي هو نواة المكتبة نفسها بكيانها المستقل . أما تاريخ بدء خزائن الكتب في المسجد الحرام ، فإن هناك دلائل تاريخية تشير إلى أنه كان في المسجد الحرام خزائن للكتب يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجري .

ومن الاشارات التاريخية المتقدمة إلى وجود خزائن الكتب في المسجد الحرام ما جاء في الملحق الثالث من ملحقات أخبار مكة للازرقي ، من أن سيل عام ٤١٧ هـ دخل الحرم ، ووصل إلى خزائن الكتب ، فأتلف منها الشيء الكثير .(١)

وممن ذكر ذلك أيضا البتنوني في رحلته الحجازية ، حيث ذكر أنه كان بمكة كتب كثيرة مهمة ، وكانت موضوعة في دواليب دائر حائط الحرم ، سُرق بعضها والسيول التي أغرقت المسجد خصوصا في سنة ٤١٧ هـ صعدت إلى هذه الخزائن وأتلفت منها شيئا كثيرا .(٢)

وتلك إشارة واضحة إلى وجود خزائن للكتب في المسجد الحرام في تلك الفترة المتقدمة . وتدل كلمة « كتب » على أن هذه الخزائن ما كانت قاصرة على المصاحف فقط وإنما كان بها كتب أخرى .

وكانت هذه الكتب والمصاحف تُحفظ في خزائن تقع تحت قبة بين زمزم وبين الشراب . ويذكر السيوطي في كتابه الأوائل أن أول من عمل هذه القبة هو المهدي في خلافته .(٣)

وقد كانت هناك قبتان احداهما على سقاية العباس والأخرى وهي قبة الشراب السالف ذكرها وكانت خاصة بحفظ الأشياء الموقوفة على المسجد الحرام كالمصاحف والكتب وغيرها .

كما يذكر ابن بطوطة قبّة الشراب هذه ويقول إن بابها إلى جهة الشمال ، وإن بها اختزان المصاحف الشريفة والكتب التي للحرم الشريف ، وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه ، منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة الرسول ﷺ (٤)

ولم يكن يطلق على خزائن الكتب هذه اسم معين غير أنها تحتوي على الكتب التي للحرم الشريف ، واستمرت على ذلك طويلاً حتى كان عام ١٢٦٢ هـ ، حيث أُطلق عليها كتب خانة السليمانية أو المجيدية ، نسبة إلى السلطان عبد المجيد العثماني ، حيث كان قد جمع شتات كتب المسجد الحرام وأضاف إليها كتباً أخرى أحضرها من الآستانة .(٥)

وتوجد في المكتبة إلى اليوم لوحة من الحجر المنحوت عليها خمسة أبيات من الشعر باللغة التركية ، كما عليها اسم السلطان عبد المجيد ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى عام ١٢٦٢ هـ .

وتذكر جريدة أم القرى في عددها ٢١٢ الصادر في شعبان ١٣٤٧ هـ أن السلطان عبد المجيد هذا كان قد أمر عام ١٢٦٢ هـ باصلاح القبتين الموجودتين بالقرب من بئر زمزم ، وجعل احداهما مكتبة والثانية للتوقيت والمقصود بالقبتين قبة الشراب وهي التي فوق المكتبة والأخرى التي على سقاية العباس ، وهما نفس القبتين سالفتي الذكر .

ويبدو أن هاتين القبتين قد بقيتا إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري إلى أن أزيلتا في عام ١٣٠١ هـ في بدء ولاية أمير مكة في ذلك الوقت الشريف عون الرفيق وشيخ الحرم عثمان نوري باشا ، كما يذكر ذلك حسين عبد الله باسلامة في تاريخ عمارة المسجد الحرام ويقول « وسبب ذلك أنه دخل سيل عظيم

المسجد الحرام وأتلف كثيرا من الكتب والأشياء التي كانت به . فاقتضى رأي الولاة في ذلك العصر إلى نقل الكتب من احداهما ووضعها في دار الكتب التي هي المدرسة على باب الدريبة ، وهدم هذه القبة وقبة العباس وجعل موضعهما رحبة بالمسجد الحرام توسعة للمصلين .(٦)

وقد كان هذا الحدث مشهورا إذ ذكره بعض مؤرخي الحرمين الشريفين ومنهم أحمد السباعي في كتابه « تاريخ مكة » إذ جاء فيه : وفي سنة ١٣٠١ هـ استأنفوا « يعني العثمانيين » إصلاح بعض مرافق المسجد وأزالوا بناء سقاية العباس ، وبيت المحفوظات « ويعني بذلك قبة الشراب » اللذين كانا قائمين بجوار زمزم ، ونقلوا الكتب إلى مكانها اليوم في باب السليمانية ، ثم أزالوا الفاصل الذي كان يحجز النساء في صلاتهن بالمسجد ويسمى القفص .(٧)

ولا شك أنه يعني بالكتب كتب مكتبة الحرم المكي ، إذ جاء في هامشه « ونقلت هذه المكتبات في عهد السعوديين عند توسعة المسجد الحرام ، وهم يخططون لبناء عمارة لها مكان القبتين بجوار المدعي ، وأخيراً شيدت للمكتبة عمارة فخمة شامخة بجوار المسجد الحرام بالغرب من باب الملك عبد العزيز » .

وفي عام ١٣٤٦ هـ ضمت مكتبة الشرواني إلى المكتبة ، وتنسب هذه المكتبة إلى صاحبها رشدي الشرواني والي الحجاز في تلك الحقبة ، وكانت هذه المكتبة تقع في باب أم هانيء ، وكما يذكر إبراهيم رفعت في مرآة الحرمين أن هذه المكتبة كانت تعتبر المكتبة الثانية بعد مكتبة الحرم في تلك الفترة إذ لم يكن في مكة سوى هاتين المكتبتين وكانت هذه المكتبة تسمى كتب خانة شرواني زاده ، كما يذكر إبراهيم رفعت أنه كان لكلا المكتبتين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها .(٨)

ومن أهم المكتبات التي ضمت إليها كذلك مكتبة الشيخ عبد الستار بن عبد الله الدهلوي المتوفي عام ١٣٥٥ هـ ، والذي كان مدرّساً بالحرم الشريف ، وكانت مجموعة هذه المكتبة تبلغ نحو ألف وثمانمائة وخمسين كتابا ورسالة مخطوطة ومطبوعة في مختلف فروع المعرفة ، وكان قد جعلها وقفا على طلاب العلم والباحثين ، وحين ضمت هذه المكتبة إلى مكتبة الحرم المكي بعد وفاة صاحبها ، وضعت في جناح خاص بها ولها فهرس مستقل .(٩)

ومن أهم المخطوطات التي في مجموعة الدهلوي : كتاب منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، لعلي السنجاري . المتوفي عام ١١٠٩ هـ . وكتاب اتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد المتوفي عام ٨٨٥ هـ ، وكتاب ذيل أتحاف الورى المسمى بلوغ القرى بأتحاف الورى لعبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد المتوفي عام ٩٢٠ هـ . وكتاب إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة وإلى البيت العتيق لابن اسحق الخوارزمي المتوفي عام ٨٢٧ هـ . وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للحسيني الفاسي المتوفى عام ٨٣٢ هـ .(١٠)

والجدير بالذكر أن جميع هذه المخطوطات منسوخة بخط الشيخ عبد الستار الدهلوي نفسه . كما أن من مؤلفات الشيخ الدهلوي كتاب فيض الملك المتعالى بأبناء أوائل القرن الثالث عشر على التوالي ، وكتاب سرد النقول في تراجم العلماء الفحول ، ومازالت هذه الكتب وغيرها محفوظة بالمكتبة وتحت استعمال الباحثين .

وفي عام ١٣٨٧ هـ أُهديت مكتبة الشيخ عبد الرحمن المعلّمي أمين مكتبة الحرم المكي السابق إلى المكتبة ، وكان عدد محتوياتها ٦٤٢ كتابا منها مصورات لبعض المخطوطات النادرة وعددها ١٧ كتابا مجلدا .

ومن المكتبات التي ضمّت إليها كذلك مكتبة الحسن بن علي الإدريسي بناء على وصية منه وكانت تضم ستين كتابا مطبوعا .

وفي جمادى الأولى من عام ٨٨ هـ أُهديت مكتبة الشيخ عبد الغني الزمزمي وعددها ١٤٢ كتابا مطبوعا إلى المكتبة .

كما أُهديت إلى المكتبة كتب كثيرة من الأشخاص كالكتب التي أوقفها الشريف عبد المطلب أمير مكة ، والكتب التي أوقفها محمود حافظ ، والكتب التي أوقفها عبد الحق الهندي ، والتي منها بعض كتب من تأليفه ونسخت بخط يده ، وكتب علي الداغستاني ، والكتب التي أوقفها صالح عطرجي أحد مدرسي الحرم المكي الشريف .

ومن المكتبات التي أوقفت وقفاً عاماً ثم ضمت إليها مكتبة السيد علي الكيلاني التي كانت لدى هيئة عين زبيدة بمكة ثم سلمتها إلى المكتبة وهي تضم ٩٣٨ كتابا .(١١)

المحن التي مرت بها مكتبة الحرم المكي

إن المستقريء للمحن التي مرت بها المكتبة ، يرى أن السيول

كانت أعظم خطر يهدد هذه المكتبة خلال العصور المختلفة ، وذلك بسبب إنخفاض المنطقة التي فيها الحرم المكي الشريف ، وإلى عهد قريب كانت المكتبة تقع إلى جوار الحرم وعلى بعد خطوات منه فقط ، ففي فترات تنقلها الأولى كان المسؤولون عنها يحاولون قدر الإمكان أن لا يبعدوها عن رواد الحرم الشريف ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها :

١ ــ أنه كان بتصور المسؤولين أن هذه المكتبة هي جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف لأنها جمعت شتات المصاحف والكتب التي كانت فيه ، ولأن كثيراً من هذه الكتب كانت قد أُوقفت على طلبة العلم بالحرم الشريف ، ولعل هذا هو التصور السليم لأن الموقع الذي أختير للمبنى الجديد للمكتبة روعي فيه أن يكون قريبا إلى الحرم الشريف ، إذ يقع بمقابل باب الملك عبد العزيز على بعد خطوات قليلة من الحرم الشريف .

٢ ــ عدم توفر المواصلات الكافية والجيدة في السابق ، مما قد يجعل من المشقَّة بمكان أن يصل قاصد هذه المكتبة إليها من الحرم الشريف ، ومع توفر المواصلات في الوقت الحاضر ويسرها ، أصبح من الممكن أن تكون المكتبة بعيدة بعض الشيء عن الحرم الشريف ، ولن يجد روادها أي صعوبة للوصول إليها لتوفر وسائل المواصلات العامة والخاصة .

نظرا لوجود المكتبة على مقربة من الحرم الشريف في السابق وفي نفس المنطقة المنخفضة التي يوجد فيها الحرم الشريف ، وقبل أن تنقل إلى باب الدريبة ، وكانت في نفس الحرم ، فإن تعرضها لأخطار السيول كان حاصلا كلما تعرض الحرم الشريف لذلك .

وكما رأينا أن الأزرقي قد ذكر في الملحق الثالث من ملحقات أخبار مكة أن سيل عام ٤١٧ هـ دخل الحرم ووصل إلى خزائن الكتب فأتلف منها الشيء الكثير ، ووصل إلى قناديل المطاف وعبر في بعضها من فوقها ، ومات نحو ستين نفرا تحت الردم وبل جميع الكتب في قبة الكتب .(١٢)

وإن يكن تاريخ هذا السيل قد أمكنَ تحديده لذكر الأزرقي له ، فلا شك أنه قد حدثت سيول كثيرة أخرى على امتداد حوالي إثني عشر قرنا من عمر المكتبة . إذ أن السيول كانت تداهم المسجد الحرام بين حين وآخر . وفي عام ١٢٧٨ هـ اقتحم المسجد الحرام سيل عظيم ارتفع مستواه إلى قفل باب الكعبة وأصيب المسجد بأضرار بالغة ، وغرق فيه خلق كثير داخل المسجد وخارجه ، وقد نشط العثمانيون لإصلاح الضرر ، وقد دامت عملية الإصلاح نحو ستة أشهر .(١٣)

ونظرا لأن هذا السيل قد وقع قبل نقل المكتبة إلى خارج الحرم الشريف عند باب الدريبة في عام ١٣٠١ هـ ، ولكون الكتب داخل الحرم حين مداهمة السيل ، فلابد أن أضراراً بالغة كانت قد لحقت بالكتب من جراء هذا السيل .

ومما يؤكد ذلك أيضا أنه بعد وقوع هذا السيل بسنوات قليلة صدر أمر من المسؤولين في ذلك الوقت في عام ١٢٨٤ هـ بنقلها إلى مكان آخر(١٤) وكان ذلك بعد وقوع السيل بست سنوات .

وكانت تلك بداية الاحساس بخطر السيول على الكتب ، وخطوة أولى نحو حمايتها والتي تلتها الخطوة العملية الأولى بنقل المكتبة إلى مدرسة كانت عند باب الدريبة كما يذكر ذلك حسين عبد الله باسلامه .

وإن كنا لا نستطيع أن نحدد المكان الذي نقلت إليه في عام ١٢٨٤ هـ ، إلا أن المتوقع أن هذا النقل لم يكن إلى خارج الحرم الشريف لاعتبار الأسباب التي ذكرناها سابقاً ، بل أن كل ما قام به من نَقَلَها هو أنه أختار لها مكاناً آخر داخل الحرم يظن أنه أكثر أماناً من سابقه .

ويبدو أن كل هذه الأمكنة كانت تستوي من حيث كونها عرضة للسيول ، وأن السيول كانت تداهمها في فترات متقاربة ، والغريب أن القائمين بأمر الحرم الشريف لم يتنبهوا إلى هذه الحقيقة إلا في وقت متأخر للغاية ، إذ بقيت مجموعات هذه المكتبة تنتقل من مكان إلى آخر داخل الحرم الشريف حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، حين أُزيلت القباب التي كانت في الحرم .

ولم تكن السيول هي الخطر الوحيد الذي يهدد مجموعات هذه المكتبة خلال أطوارها المختلفة ، وربما كان الاهمال هو أعظم هذه الأخطار ، إذ هو السبب الحقيقي لكل أنواع الأخطار الأخرى كالحريق والأرضة والغرق وكل ما عدا ذلك ، ولعل السبب في تناقص أعداد المخطوطات النادرة التي كانت تزخر بها المكتبة وكذلك تعرض مخطوطاتها الباقية إلى التلف ، كل ذلك مرده إلى أهمال ذوي الشأن بأمرها فيما مضى .

ويبدو أنه قبل مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، لم تكن

هناك أي دواليب أو حتى أي أنواع من الصناديق لايداع الكتب ، إذ أن المكتبة التي أوقفها الشيخ عبد الحق الهندي على مكتبة الحرم كانت قد ذهبت الأرضة بقسم منها بسبب تركها على الأرض .(١٥)

ولا اعتقد أنه قد قام أحد بمكافحة الأرضة لعدم توفر الوسائل اللازمة في ذلك الوقت المتقدم .

أما الحرائق فلم يقع تحت يدي أي وثيقة تدل على أن المكتبة قد تعرضت لأي حريق في مقتبل عهدها ، وكما أسلفت أن ذلك ليس دليلا على أن المكتبة لم تتعرض فعلا لأي حريق ، ولكن ربما يرد ذلك إلى تقصير المؤلفين في سرد أخبار هذه المكتبة ، أو لعدم وصول ما يدل على ذلك إلينا .

وبالامكان القول كذلك أن امكانية حصول الحريق للمكتبة في عهودها الأولى كان مستبعدا وذلك لقلة أعداد مجموعاتها ، ولصغر حجم المبنى القديم للحرم ، ولذلك كان بالامكان محاصرة أي حريق يحدث .

ولا ننسى أن معظم الحرائق التي تحدث في المكتبات اليوم يكون سببها الالتماس الكهربائي ، والذي لم يكن ممكنا في السابق قبل عهد الكهرباء .

أما في الوقت الحاضر فإن خطر الكهرباء حاصل ، وأي حادث يمكن أن يودي بكل مجموعات المكتبة ، خصوصا في موقعها الحالي ، والتي تتجمع كل مجموعاتها في غرف ضيقة لتكون شبه مكدسة فيها . ومما يثير العجب أن المكتبة في الوقت الحاضر لا تملك حتى الوسائل البدائية في إطفاء الحريق .

ولا شك أنه ينبغي العمل على إيجاد مثل هذه الوسائل ، وهو ما سيتحقق في المبنى الجديد للمكتبة .

عهود ازدهار المكتبة

كانت المكتبة قبل عام ١٣٧٥ هـ تعتمد على الإهداء والاستهداء لزيادة مجموعاتها ، وكان عام ١٣٧٥ هـ أول عام رصد فيه مبلغ لشراء بعض الكتب التي تحتاجها المكتبة ، وقد كان هذا المبلغ لمرة واحدة ، وقد رصد ضمن ميزانية مديرية الأوقاف العامة ، وأسندت عملية الاختيار والشراء إلى مدير المكتبة وقد أسهم هذا المبلغ في شراء بعض المجموعات الضرورية للمكتبة .

وفي عام ١٣٨١ هـ رصد للمكتبة مبلغ في وزارة الحج والأوقاف لشراء بعض الكتب كذلك ، فقامت المكتبة كذلك بشراء بعض الكتب والمراجع وكان من ضمنها دائرة المعارف الإسلامية .

وحين انتقلت المكتبة إلى الرئاسة العامة للاشراف الديني بالمسجد الحرام رصدت لأول مرة ميزانية للتزويد بلغت حوالى ستين ألف ريال ، وفي نفس تلك الفترة أشترت المكتبة مجموعة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي .

وتكونت بعد ذلك لجنة دائمة تسمى لجنة مشتريات الكتب ، مقرها الرئاسة العامة للاشراف الديني على المسجد الحرام ، مهمتها اختيار الكتب من المكتبات التجارية بمكة والطائف والمدينة ، وكذلك استقبال الطلبات من رواد المكتبة بالكتب الجديدة التي يرغبونها .(١٦)

وبناء عليه ولأول مرة في تاريخ المكتبة بدأت مجموعاتها تتنوع بين كتب علمية وأدبية واجتماعية ، وكتب في المحاسبة والاقتصاد والموسوعات وغيرها .

وكانت تلك دفعة قوية للمكتبة لتقف في مصاف المكتبات العامة التي لا تقتصر على مجموعات في موضوعات مخصوصة .

ويعتبر انتقال المكتبة إلى مقرها بعمارة مشروع التوسعة عام ١٣٨٣ هـ ، بداية مرحلة جديدة في حياة المكتبة ، ففي ذلك التاريخ أُلغيت الدواليب المقفلة وحصلت المكتبة على دواليب ذات رفوف مفتوحة(١٧) ولأول مرة في تاريخ المكتبة سمح لرواد المكتبة بأخذ ما يشاؤون من الكتب لقراءتها داخل المكتبة ، ولم يكن ذلك في إمكانهم من قبل ، إذ في عهد الدواليب المقفلة ، كان ينبغي على القاريء طلب أي كتاب يُريده من الموظف ويقوم ذلك الأخير باحضاره له ، وبعد توفير الدواليب ذات الرفوف المفتوحة خطت المكتبة أولى خطواتها نحو المكتبات الحديثة واكتسبت بعض المرونة التي لابد منها لمكتبة عامة مثلها ، كما أنه في هذا العهد أُدخلت على المكتبة بعض التغييرات وأُضيفت لها بعض الميزات الضرورية ولأول مرة في تاريخها كالتهوية والاضاءة ، والتي كانت لابد منها نظراً لطبيعة المبنى الذي انتقلت إليه ، والذي يعتبر حديثا نسبيا إذا ما قورن بالمباني السابقة التي كانت تحتلها المكتبة .

وحتى عام ١٣٨٧ هـ كان للمكتبة دوام واحد فقط وهو

الفترة الصباحية ، وبعد أن تزايد عدد الرواد في تلك الفترة وأحست الجهات المسؤولة بعدم كفاية الفترة الواحدة لسد احتياجات الروّاد ، أصبح ضروريا فتح المكتبة لفترة مسائية ، خاصة بعد أن تقدم عدد من المطالعين بطلب إلى الجهات المسؤولة بذلك ، وبالفعل تم التنسيق مع الادارة والموظفين لفتح المكتبة صباحاً ومساءً وبدأ فتح المكتبة للفترتين من عام ١٣٨٧ هـ[١٨] . إذ تبدأ صباحا من الساعة الثامنة وحتى الواحدة ، ثم من بعد صلاة العصر من كل يوم وإلى وقت صلاة العشاء من كل ليلة .

وتعتبر هذه الفترة بداية عهد جديد في تاريخ المكتبة حيث زادت الفترة التي يمكن للرواد فيها الاستفادة من مجموعات المكتبة ، وفي كلا الفترتين يهيأ للرواد جهاز كامل من الموظفين وتفتح صالة المطالعة وصالة الدوريات وكل مرافق المكتبة . وفي عام ١٣٩٩ هـ بلغت ميزانيات التزويد في المكتبة حوالى ستمائة ألف ريال رصدت لشراء الكتب والمخطوطات والمصورات من الداخل والخارج ، وقد كان لهذه الزيادة العظيمة في ميزانية المكتبة الأثر العظيم في زيادة نشاطات المكتبة وخدماتها ، فقد شعرت إدارة المكتبة بضرورة توفير خدمات التصوير لروادها وكذلك أحست بضرورة تصوير ذخائرها من المخطوطات النادرة ، وذلك خوفا عليها من التلف ، وحرصا على ايجاد نسخ مختلفة لها على أشكال مصورات وعلى أشكال ميكروفيلم ، يمكن حفظها من العوامل الطبيعية ومن أخطار الحريق عن طريق وضعها في الأوعية الواقية للميكروفيلم .

ولذلك فقد جندت المكتبة ابتداء من العام ١٣٩٩ هـ خبيرين من جامعة أم القرى بمكة لتصوير جميع مخطوطاتها على ميكروفيلم ، أحد هذين الخبيرين مصور والآخر مفهرس . والجدير بالذكر أن آلات التصوير التي تستعمل في تصوير الميكروفيلم بالمكتبة هي ملك لمكتبة الحرم المكي .

والالآت التي تستخدم في تصوير المخطوطات هي من طراز :

Microfile machine MRD2

35mm. and 16mm.

وسوف تحصل المكتبة على المزيد من هذه الآلات عند انتقالها إلى المبنى الجديد . وبالاضافة إلى هذه الآلات تسعى المكتبة الآن للحصول على بعض الآلات القارئة للميكروفيلم ، وذلك في سبيل أن تكون خدماتها متكاملة . وبالاضافة إلى تصوير المخطوطات ، فقد أحست المكتبة بحاجة القراء إلى تصوير بعض الصفحات من الكتب والدوريات التي يقرأونها في المكتبة ، ونظراً لعدم وجود نظام الاعارة في المكتبة ، وعدم استطاعة القراء إخراج الكتب من المكتبة لتصويرها خارجها ، كان لابد للمكتبة من استحضار بعض آلات التصوير لخدمة القراء تحت إشراف أمين المكتبة ، وهذا ما كان بالفعل ، فقد تسلمت المكتبة آلتين للتصوير وضعتا قرب قاعة المطالعة لتكونا في خدمة القراء .

الهوامش

(١) الأزرقي ، محمد بن عبد الله بن أحمد . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . جـ ٢ ، ص ٣١٢ .
(٢) البتنوني ، محمد لبيب . الرحلة الحجازية . ص ٥٩ .
(٣) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . الوسائل إلى معرفة الأوائل . ص ٥٣ .
(٤) ابن بطوطة . رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ١ ، ص ٨٤ .
(٥) ابراهيم رفعت . مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .
(٦) باسلامة ، حسين عبد الله ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١٩٨ .
(٧) السباعي ، أحمد . تاريخ مكة . ص ٥٩٣ .
(٨) ابراهيم رفعت . مرآة الحرمين ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .
(٩) فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي .
(١٠) فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي .
(١١) الكتوي ، محمد عثمان . بحث عن مكتبة الحرم المكي مقدم إلى معهد الادارة بالرياض
(١٢) الأزرقي ، محمد بن عبد الله بن أحمد . أخبار مكة جـ ٢ ، ص ٣١٢ .
(١٣) السباعي ، أحمد . تاريخ مكة ، ص ٥٩٢ .
(١٤) جريدة أم القرى ، العدد ٢١٢ . ١٣٤٧/٨/٧ هـ .
(١٥) جريدة أم القرى ، العدد ٢١٢ . ١٣٤٧/٨/٧ هـ .
(١٦) عن استبيان علمي مقدم إلى مدير مكتبة الحرم المكي الشيخ عبد العزيز الدوسري .
(١٧) المعلمي ، عبد الله بن عبد الرحمن . مكتبة الحرم المكي ماضيها وحاضرها ص ٥ .
(١٨) عن استبيان علمي مقدم إلى مدير مكتبة الحرم المكي الشيخ عبد العزيز الدوسري .

الطيف الطائف بفضل لطائف لابن علان

صالح بن سليمان الحجي

حظيت الطائف كمدينة تاريخية باهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين على حد سواء وتوفرت ، نتيجة لهذا الاهتمام ، مؤلفات كثيرة منها ما قد حقق وطبع ومنها ما يزال مخطوطا . من بين هذه المؤلفات كتاب يسمى (الطيف الطائف بفضل الطائف) لابن عَلّان الصديقي من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، وقد وقفت على نسخة خطية منه مكتوبة قبل وفاة المؤلف بعدة سنوات مما يكسبها قيمة علمية أرجو أن تبرزها هذه المحاولة المتواضعة التي أبدأها بنبذة عن الكتاب ومؤلفه .

أولا : الكتاب :

جميع المصادر التي أوردت ترجمة ابن عَلّان الصديقي نسبت له هذا الكتاب مع اختلاف قليل في صيغة العنوان . ففي هذه النسخة الخطية ورد « الطيف الطائف بفضل الطائف »[1] وهي الصيغة نفسها التي جاءت في كشف الظنون[2] وفهرس مخطوطات الحرم المكي[3] بينا ذكرته بعض المصادر الأخرى باسم « طيف الطائف بتاريخ وج والطائف »[4] .

حجم هذا الكتاب لا يبدو كبيرا إذ لا يتجاوز التسعين صفحة ، ويظهر أن صاحبه قد قصد جعله مختصراً لتسهل الإفادة منه ، وبقراءة الديباجة التي قدم بها كتابه يتضح لنا أنه رتبه على النحو التالي :

١ ــ مقدمة مشتملة على أربعة مراصد .
٢ ــ الباب الأول وفيه أربعة فصول .
٣ ــ الباب الثاني وفيه فصلان .

ثانيا : المؤلف :

وردت ترجمة المؤلف لنفسه في مقدمة النسخة المخطوطة التي أتحدث عنها بأنه « محمد بن عَلّان الصديقي الشافعي »[5] وفي خلاصته الأثر[6] « محمد علي بن محمد عَلّان بن ابراهيم بن ابراهيم بن محمد بن علان بن عبد الملك بن علي مجدد المائة الثامنة ... الشيخ المحقق الطيبي والخطيب التبريزي صاحب المشكاة علي بن مبارك شاه البكري الصديقي العلوي ... » وقريب من هذا جاء في كل من هدية العارفين[7] والأعلام[8] ، أما صاحب كشف الظنون[9] فقد ذكره باسم « الشيخ جمال الدين محمد بن علي » ــ كذا ــ . هذا وتجمع كل المصادر التي وقفت عليها في إطار هذا البحث بأنه قد ولد في مكة سنة ٩٩٦ هـ وتوفي فيها سنة ١٠٥٧ هـ .

مكانته العلمية :

يبدو أن صاحبنا قد احتل مكانة مرموقة في عصره وكان من علماء قرنه البارزين ، وتتجلى هذه الحقيقة من خلال ما سطرته عنه كتب التراجم وأسهبت فيه أقلام المؤرخين لحياته راصدة جهوده العلمية وآثاره الفكرية مبينة فضله ومكانته ، ومما يستخلصه المرء من مصادر ترجمته أنه كان « إماما ثقة من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظا واتقانا وضبطا لحديث رسول الله ﷺ وعلما بعلله وصحيحه وأسانيده »[10] كما كان إلى جانب اشتغاله المبكر في القضاء محبا للعلم ومقبلا عليه حتى قيل إنه حفظ القرآن وعدة متون في القراءات والنحو والحديث والمعاني والبيان ، كما كان كثير الاجتماع بالوافدين على مكة من العلماء والشيوخ حتى أجازه كثير منهم[11] ، وكان بحاثة وذا باع طويل في التأليف حتى بلغت جملة مؤلفاته أكثر من ستين كتابا[12] من بينها كتابه هذا المسمى (الطيف الطائف بفضل الطائف)

وكتاب آخر سماه (جمع اللطائف من محاسن الطائف)[١٣] .

نسخ الكتاب :

١ ــ المطبوعة :

لم ترد في أي من المصادر التي استعنت بها في هذا البحث اشارة إلى أن هذا الكتاب قد طبع أو نشر من قبل وأخص بالذكر المراجع التالية :

أ ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف اليان سركيس .

ب ــ معجم المخطوطات المطبوعة بين سنتي ١٩٥٤ و ١٩٨٠ ، لصلاح الدين المنجد (خمسة أجزاء) .

جـ ــ الأعلام ، لخير الدين الزركلي .

د ــ الفهرس البطاقي للمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض .

وعلى هذا الأساس يقوى الجزم بأنه لم يطبع[١٤] بعد وبالتالي لا تتوفر منه أية نسخة مطبوعة .

٢ ــ المخطوطة :

من خلال البحث في فهارس المخطوطات في المكتبات المختلفة لم أجد ذكرا لأية نسخة أخرى سوى هذه النسخة موضوع الحديث ونسخة ثانية محفوظة في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة ، ولعل الحديث عن كل نسخة على حدة يحقق بعض الفائدة المرجوة .

أولاً : نسخة جامعة الملك سعود[١٥] :

على ضوء ما تقدم أرجح أن تكون هي أقدم نسخة معروفة حتى الآن فقد كتبت قبل وفاة المؤلف بسبع سنين وعشرة أشهر وبعد فراغه من تأليف الكتاب بسنتين فقط مما يكسبها أهمية علمية لدى المحققين والمشتغلين بالتراث ، ويمكن إجمال وصف هذه النسخة فيما يلي :

١ ــ تمت كتابتها في مستهل صفر سنة ١٠٥٠ هـ .

٢ ــ حالتها جيدة جداً . ليس فيها نقص أو تضرر برطوبة أو خلافها .

٣ ــ خطها نسخ معتاد واضح .

٤ ــ مُيزت بعض الكلمات بالمداد الأحمر .

٥ ــ في بعض الهوامش توجد تصحيحات وتعليقات بخط الناسخ نفسه .

٦ ــ تقع في ٤٥ صفحة بمقاس ١٤٫٥ × ٢٠ سم وفي كل صفحة ٢٣ سطراً .

٧ ــ لم يذكر الناسخ اسمه .

٨ ــ يبدو أن جلدتها تعود للتاريخ نفسه الذي كتبت به هذه المخطوطة .

ثانياً : نسخة مكتبة الحرم المكي :[١٦]

توجد منها نسخة مصورة في مكتبة جامعة الملك سعود وقد اطلعت على هذه النسخة المصورة وتزودت من هذه المطالعة بالبيانات التالية :[١٧]

١ ــ تمت كتابة هذه النسخة ليلة عيد الفطر المبارك من سنة ١٣٣١ هـ . على يد أبي الفيض والإسعاد عبد الستار الصديقي الحنفي بن عبد الوهاب المكي ــ كذا ورد بآخرها ــ .

٢ ــ منقولة عن نسخة كتبها أحمد بن اسحاق الأوغاني سنة ١٠٩٧ هـ .

٣ ــ بأولها نقص يسير في مقدمة الكتاب يقدر بصفحة ونصف الصفحة قياسا على النسخة السابقة حيث تبدأ نسخة الحرم المكي بفصل « زيارة مشاهد أولي الصلاح والأبرار » وهو الفصل الذي يقع في منتصف الصفحة الثانية من نسخة جامعة الملك سعود .

٤ ــ خطها معتاد وفي الهوامش تصحيحات كثيرة بخط الناسخ نفسه واشارات إلى الأصل المنقول منه .

٥ ــ تقع في ٤٨ ورقة بمقاس ١٢ × ٢٩ سم وفي كل صفحة ٢٣ إلى ٢٧ سطرا .

٦ ــ رؤوس الفقر وأوائل الفصول بالحمرة .

٧ ــ مصححة ومقابلة على النسخة المنقول منها على يد الناسخ نفسه وقد بلغت مقابلة في الطائف في ١٣ من شهر العيد سنة ١٣٣١ هـ .[١٨]

كلمة أخيرة :

إنني إذ أقدم هذه النبذة المختصرة عن هذا الكتاب عبر وصف هاتين النسختين الخطيتين لأود الاشارة إلى مسألة تتعلق بالكتاب نفسه وهي أن الأستاذين أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ويحيى محمود ساعاتي يعدان العدة الآن للقيام بتحقيق هذا الكتاب ونشره ضمن المصادر الأخرى لتاريخ الطائف ، وكل ما أرجوه أن تحصل الفائدة بهذه النبذة وما التوفيق إلا من عند الله .

مصادر البحث[19]

١ ــ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، بيروت ؛ دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩ م .

٢ ــ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي ، بيروت ؛ دار صادر . بدون تاريخ .

٣ ــ فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف ، قسم التاريخ ــ التراجم ــ السيرة النبوية . وضع محمد صالح جمعه . طبعة تمهيدية بدون تاريخ .

٤ ــ فهرس المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود (بطاقي) .

٥ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، طهران ؛ مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي . الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧ م .

٦ ــ معجم المخطوطات المطبوعة ، لصلاح الدين المنجد . بيروت ؛ دار الكتاب الجديد ١٩٦٢ ــ ١٩٨٢ م .

٧ ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف اليان سركيس . مصر ؛ مطبعة سركيس ، ١٣٤٦ هـ .

٨ ــ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لاسماعيل باشا البغدادي . طهران ؛ مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧ م .

الحواشي والتعليقات

(١) ــ أنظر صورتي صفحة العنوان والمقدمة لهذه النسخة .

(٢) ــ ج ٢ ص ١١١٩ .

(٣) ــ القسم الخاص بمخطوطات التاريخ والتراجم والسيرة النبوية ، ص ٦٨ .

(٤) ــ الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ج ٦ ص ٢٩٣) ، خلاصة الأثر (ج ٤ ص ١٨٤) ، هدية العارفين (ج ٢ ص ٢٨٣) .

(٥) ــ أنظر الصورة المرفقة لمقدمة المخطوطة .

(٦) ــ ج ٤ ص ١٨٥ .

(٧) ــ ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٨) ــ ج ٦ ص ٢٩٣ (الطبعة الرابعة) .

(٩) ــ ج ٢ ص ١١١٩ .

(١٠) ــ خلاصة الأثر ج ٤ ص ١٨٥ .

(١١) ــ المصدر نفسه ج ٤ ص ١٨٥ ، الأعلام (الطبعة الرابعة ج ٤ ص ٢٩٣) .

(١٢) ــ أنظر أسماءها مفصلة في هدية العارفين (ج ٢ ص ٢٨٣) . وخلاصة الأثر (ج ٤ ص ١٨٤ ــ ١٨٨) .

(١٣) ــ انفرد صاحب هدية العارفين بذكر هذا الكتاب دون غيره من المراجع التي وقفت عليها في إطار هذا البحث ، والله أعلم .

(١٤) ــ عندما ذكره الزركلي ضمن مؤلفات ابن علّان أشار إلى أنه مخطوط . ج ٦ ص ٢٩٣ (الطبعة الرابعة) .

(١٥) ــ محفوظة برقم ٤٨٥٠ في قسم المخطوطات بالجامعة المذكورة .

(١٦) ــ محفوظة فيها برقم ١٢٠ تاريخ دهلوي .

(١٧) ــ ورد وصف هذه النسخة في فهرس مخطوطات الحرم المكي في القسم الخاص بالتاريخ والتراجم والسيرة (ص ٦٨) فلينظر .

(١٨) ــ انظر صورة الصفحة الأخيرة من نسخة الحرم المكي .

(١٩) ــ مرتبة حسب العنوان .



نسخة جامعة الملك سعود



نسخة مكتبة الحرم المكي

العرض و التحليل

إعتبار أسامة بن منقذ في ترجمة جديدة

جليل العطية

قبل قرن كامل من الزمن ، ومن مدريد أعلن المستشرق الفرنسي ديرنبرج HARTWIG de RENBOURG اكتشاف نسخة فريدة من كتاب « الاعتبار » للأمير ، الأديب ، الفارس الشجاع : أسامة بن منقذ ..

تم الاكتشاف أثناء قيام « ديرنبرج » إعداد فهرس للمخطوطات العربية في دير الأرسكوريال ، الأسباني ، وهي تعد من أهم المخطوطات العربية وأكثرها ندرة وأهمية .

أحدث الاكتشاف ضجة في الأوساط الاستشراقية ، نظراً لأهميته العلمية من جهة ، ولصلته الوثيقة بالحروب الصليبية ــ وهذا هو المهم ــ من جهة أخرى !

عكف ديرنبرج على ترجمة الكتاب إلى الفرنسية وإعداده للنشر ، فكان أن صدر النص العربي ــ لأول مرة ــ في باريس بين عامي : ١٨٨٤ ــ ١٨٨٦ م . وفي سنة ١٨٩٥ م صدرت الترجمة التي نهض بها « ديرنبرج » ..

ثم توالت الترجمات :

ــ ١٩٠٥ م تولى شومان Schumann ترجمته مع دراسة ، فصدر في (انسبرج) باللغة الألمانية .

ــ ١٩٢٢ م ترجمة ساليير Salier إلى الروسية ــ موسكو .

ــ ١٩٢٩ م تولى بوتر Potter ترجمته إلى الانجليزية ، غير انه لم يترجم الكتاب عن لغته الأصلية ، بل عن طبعة « ديرنبرج » الفرنسية !!

ــ ١٩٢٩ م تولى فيليب حتي ترجمته إلى الانجليزية أيضا ، فنشرته جامعة كولومبية بنيويورك .

وقد نقد « جب » المستشرق البريطاني المعروف ــ هذه « الترجمة » في مبحث له نشر في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية .

ــ ١٩٥٨ م ــ نهض ساب Saabe بترجمة الكتاب إلى الروسية ، وصدر في موسكو بتقديم هام كتبه كراتشكوفسكي : رأس الاستشراق الروسي !

ــ ١٩٧٨ م ــ قام روتر Rotter بترجمة الكتاب إلى الألمانية أيضا وصدر في (توبنجن) بمقدمة ضافية .

ولعل القارىء يتساءل عن نصيب « الوطن العربي » و « العالم الاسلامي » من هذا الكتاب ؟ فنقول :

إن نشرة « ديرنبرج » التي صدرت في باريس ــ ليدن (١٨٨٦ ــ ١٨٨٦ م) لم يسمع بها أحد ! ولا نكاد نجد نسخة منها حتى في المكتبات العامة ! والأسباب معروفة ..

ــ في عام ١٩٣٠ م قدم « فيليب حتى » النشرة العربية الأولى ، التي ظهرت في نيويورك ، محققة تحقيقاً جيداً في ٢٤٠ صفحة من الحجم المتوسط .

ــ والمؤسف أن هذه النشرة لم تأخذ طريقها إلا لعدد محدود من المثقفين وأصحاب الاختصاص وهواة الكتب .

ــ بعد ذلك بخمسة وثلاثين عاماً ، قام الوراق العراقي قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ، باعادة طبع « الاعتبار » بطريقة التصوير « الأوفسيت » فقدم ــ رحمه الله ــ خدمة كبرى لتراثنا الشامخ ..

ــ وفي ١٩٨٠ م ــ صدر في دمشق إختيار من « الاعتبار » عنوانه : من كتاب الاعتبار ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

إختار النصوص وقدم لها الدكتور عبد الكريم الأشتر ..

ــ وفي باريس ، صدر حالاً مجلد ، أنيق ، كبير ، يحمل عنوان :

Des Enseignments De La Vie ــ

ــ Souvenirs d'un gentil homme syrien du temps des croisades.

الكتاب من منشورات المكتبة الوطنية (التابعة للحكومة الفرنسية)ــ صدر ضمن السلسلة الشرقية ، زين الكتاب بمجموعة من اللوحات الرائعة ، الملونة ، المنتقاة من عدد من المخطوطات العربية المصورة النادرة ، المستعارة من المكتبات العالمية المعروفة ..

قوام الكتاب ٤٥٠ صفحة من الحجم الكبير (٣٠ × ٢١ سم) ..

تولى الترجمة إلى الفرنسية أندرية ميكيل .. André Miquel

فمن هو ؟

المترجم :

ميكيل ، مستشرق فرنسي بارز يتربع اليوم على رئاسة قسم الدراسات العربية في الكوليج دي فرانس Collège de France وذلك خلفاً لزميله اللامع جاك بيرك Jacques Berque الذي آثر إحالة نفسه إلى « المعاش » لينصرف إلى البحث والعلم ، بعد خدمة رسمية طويلة .

لميكيل مجموعة من الكتب الموضوعة والمترجمة منها :

١ ــ كليلة ودمنة ــ ترجمة إلى الفرنسية (باريس ١٩٥٧).

٢ ــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ــ ترجمة إلى الفرنسية (دمشق ١٩٦٣) ــ « من منشورات المعهد الفرنسي » .

٣ ــ الجغرافية الانسانية للعالم الإسلامي حتى منتصف القرن الحادي عشر « الميلادي » ــ شبه موسوعة ، صدر منها عدة أجزاء (باريس ــ لاهاي) ــ وحديثاً صدرت الترجمة العربية للجزء الأول (دمشق ــ ١٩٨٣) .

٤ ــ الإسلام وحضارته (باريس ١٩٦٨) ، ترجم هذا الكتاب إلى اللغات الألمانية والبرتغالية والايطالية ــ وتصدر قريباً : « ترجمته العربية » .

٥ ــ ترجم مجموعة من حكايات ألف ليلة وليلة مع دراسات معمقة لها (باريس ١٩٧٧ و١٩٨١) .

٦ ــ الأدب العربي ــ (باريس ١٩٦٩) ــ صدرت ترجمته العربية (تونس ١٩٧٩) .

٧ ــ ترجم إلى الفرنسية طائفة من أشعار بدر شاكر السياب تحت عنوان « الخليج والنهر » (باريس ١٩٧٧) .

المصنف :

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ ، مجد الدين ، مؤيد الدولة ، أبو المظفر[1] (٤٨٨ هـ ــ ٥٨٤ هـ) أمير ، أديب ، فارس ، شاعر ، ولد في « شيزر » موطن أسرته الكنانية ، ثم سكن دمشق وتقلبت به الأحوال ، وفي ٥٥٢ هـ وقع زلزال مريع في (شيزر) راح ضحيته كل بني منقذ ، وتهدم الحصن ، فحزن (أسامة) حزناً عميقاً ، أدى فريضة الحج (٥٥٤ هـ) وبعد أن عاد إلى دمشق وأمضى فيها عشر سنوات ، توجه إلى « خلاط » عاصمة أرمينية ، وكان يعرف بإقليم ديار بكر فأمضى شطراً من شيخوخته في « حصن كيفا » وهو من أعجب حصون الدنيا ، وهناك انصرف إلى البحث والدرس ، واستعان بخزائن مدينة (آمد) فكان أن صنف مجموعة من الكتب الرائعة في الأدب والتاريخ واللغة ، وهناك كتب « الاعتبار » مذكراته ، ومن الآثار التي وصلت إلينا من مصنفاته :

١ ــ البديع في نقد الشعر .

٢ ــ العصا .

٣ ــ المنازل والديار .

٤ ــ ديوان شعره .

٥ ــ لباب الآداب وغيرها .

وقد توفاه الله في ٢٣ رمضان ٥٨٤ هـ وهو في السادسة والتسعين ، ودفن في سفح جبل (قاسيون) بدمشق وعفي قبره .

الاعتبار :

صنّف — أسامة — هذا الكتاب في أخريات أيامه ، فهو خلاصة تجربته ومعاناته ، يخيل للقارىء وهو يقرؤه أن أسامة كان يسترجع فيه حياته ويقلب النظر فيها ويستخلص عبرها ، على نحو ما يتفق لمن يكون في مثل سنه ، في بعض مجالس السمر ، فكأنه كان يحدث به سماره فيكتبه بعضهم عنه ، فإن فيه من سذاجة التعبير وبساطة الأداء ما يصل إلى حد الدارجة الشائعة في الشام ، تلك الأيام — كما يؤكد الدكتور الأشتر .

ويبدو أن تسمية الكتاب بالاعتبار ، وقعت في استخلاص العبرة منها ، والانتهاء بها إلى « أن ركوب أخطار الحروب لا ينقص الأجل المكتوب . والعمر موقت مقدّر ، لا يتقدم أجله ولا يتأخر . والنصر في الحرب من الله لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير » كما يقول أسامة نفسه .

على أن قيمة الكتاب ، تبدو في اجادته تصوير مجتمعه الذي كانت تنهبه كثرة الفتن والمحن والأطماع ، كما أنه وثيقة من وثائق الحروب الصليبية لا نعرف لها شبيهاً .

يقع الكتاب في ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول الذي يحفل بأخبار الوقائع والحروب ، وهو من أهم أقسام الكتاب .

والقسم الثاني يتعلق بأخبار الصيد والقنص والجوارح ، وهو قسم مثير .

والقسم الثالث ملحق بالكتاب ، فيه بعض أخبار الصالحين ، ويبدو هذا القسم وكأنه غريب لا صلة له بالكتاب !

وذكر الدكتور الأشتر في مقدمة إختياره من الكتاب (ص ١٢) أن المخطوطة العربية الفريدة لكتاب الاعتبار قد سرقت أو فقدت !

الترجمة

ما هي المزايا التي تمتاز بها ترجمة « ميكيل » ؟

إستغرقت الدراسة التي أعدها المترجم ٧٦ صفحة ، تناول فيها المصنف ، وعصره ، واسلوبه ، وأهمية كتاب « الاعتبار ».

يقول « ميكيل » : للكتاب خواص أهمها : العفوية والرصانة — وقد ساهما في إنجاح الكتاب .

حول الرصانة ، يقول إن الرجال والنساء الذين يقدمهم إلينا كتاب « الاعتبار » شخصيات هامة ، فهم يتصفون بالاعتدال في السلوك ، وبرباطة الجأش التي تمليها عليهم قواعد السلوك الاجتماعية ، مثال ذلك : الأب الشاهد ، على تلك الشابة التي فضلت الموت على العار .

فنرى هنا ، وكأن القلب هو الذي يتكلم ويعبر عن عواطفه .

من مزايا الكتاب : الايجاز والإقتضاب في الكتابة ، هذا الايجاز لا يقلل من قيمة الكتاب ، بل يزيده دقة وأهمية .

صور المؤلف — شيزر — تصويراً دقيقاً حاداً إلى درجة شفافة تقرب من الشعر ، ويجري المترجم مقارنة بين اسلوب أسامة ، وبين اسلوب « سرفانتس » أحد أبرز أمراء الأدب العالمي ، ويقول : إن اسلوب صاحب « الاعتبار » يمتاز بحبكة متزنة ، متماسكة ، براقة ، كلياليّ « توباسو » .

أما العفوية فإنها متفجرة بشكل تام ، وبالعنفوان الكامل لذاكرة رجل في التسعين من عمره !

فالذكريات متدفقة ، تطرز النص بهدوء ، ويستخدم المؤلف لعبة « الأضداد » والاستطراد فينثر ذكرياته بشكل مثير ، يشد القارىء ، كما أنه يقوم برواية عدة حكايات ذات عبر أو مواعظ ، ويقوم بجمع هذه الحكايات من مصادر مختلفة .

والتاريخ الذي يرويه هنا أسامة ، وكان هو شاهده ، لم يروه بشكل مجرّد ، بل مطعّم بانطباعاته الخاصة ، وبحكم حول الموت والحياة .

ويفترض (ميكيل) ، مستنداً إلى طبيعة ذيلي الكتاب ، بأن « الخاتمة الأولى » هي بمثابة تبرير واعتذار عن « الخاتمة الثانية » لأن « الخاتمة الأولى » هي عبارة عن موعظة دينية ، أما الثانية فقد أطلق فيها العنان لنفسه ، ليتكلم عن حياته الخاصة وذكرياته أيام الشبيبة والصيد وتجارب الحياة وعبرها ..

وقدم المترجم ملاحظات تتناول اسلوب — أسامة — بالاعتماد على « التكوينات اللغوية » للجمل كقوله :

« إن الشيخوخة تلصقني بالأرض ، والعمر جعل كل جزء مني ، يدخل في الآخر » .

ويصف « ميكيل » كتاب الاعتبار الذي يتناول حياة جمهرة غفيرة من الشخوص ، بأنه أشبه « بالروايات الروسية العظيمة » !

الاعتبار .. نزهة شيخ ، عاش في مدينة تدعى — شيزر — شيخ عجوز محطم ينتظر الموت ، بيد أنه حيوي ، إلى أقصى حد !

الاعتبار : ذكريات الأويقات السعيدة .

جاءت — ترجمة ميكيل — متقنة إلى حد كبير ، فقد تمت بعد تجارب عديدة ، واستيعاب للتراث العربي والأدب العربي . كما أنه انتفع بالدراسات التي سبقه إليها أساتذة أفذاذ طيلة قرن كامل من الزمن !

بهذا الكتاب ، قدم ميكيل ، خدمة كبيرة لتراثنا الأدبي ، فاستحق شكرنا على « مغامرته » التي تكللت بالنجاح !

---

(١) لمزيد من التفصيل عن حياة أسامة ، أنظر : الخريدة (قسم الشام) : ١ — ٤٩٨ ، وفيات الأعيان : ١ — ١٧٥ (رقم الترجمة ٨١) ، معجم الأدباء ٥ : ١٨٨ ، الوافي بالوفيات : ٨ — ٣٧٨ (الترجمة رقم ٣٨١٨) وأنظر أيضا كتاب أسامة بن منقذ للأستاذ جمال الدين الألوسي (بغداد) .

البارع في علم العروض لابن القطاع السعدي

محمد عبد المجيد الطويل

ابن القطاع السعدي / البارع في علم العروض تحقيق أحمد محمد عبد الدايم . — القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٢

تشهد أمتنا العربية في هذه الأيام نهضة مباركة لاحياء تراثنا الفكري ، ونشره محققا تحقيقا علميا يقربه إلى فكر المعاصرين ، لأن معظم المخطوطات العربية مكتوبة بخط يختلف عن الخط الذي نستعمله هذه الأيام .

ويحتل التراث اللغوي مكانة كبيرة من هذه النهضة ، فتقوم المجامع العلمية ، والجامعات والمؤسسات الثقافية المختلفة بدور كبير في نشر تراثنا ، وتدفع المكتبات كل يوم زاداً جديداً من نفائس المخطوطات بعد تحقيقها وشرحها من المتخصصين .

وابن القطاع السعدي أحد اللغويين الكبار ، الذين اهتموا بالأبنية صرفاً وعروضاً ، وقد حقق الدكتور عبد الدايم منذ بضع سنوات كتابه أبنية الأسماء والأفعال والمصادر . واليوم يُخرج إلى النور أثراً ثانياً من آثاره وهو كتابه البارع ، في علم العروض . بعد أن حققه وشرحه وصنع له فهارس مفصلة ، وقدم له بدراسة مستقلة .

والعروض — كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تقديمه للكتاب — من العلوم الصعبة العويصة ، يضل المرء بين مصطلحاته الغريبة ، وتقسيماته المحيرة ، ويغرق دراسة إلى أذنيه في بحوره وأعاريضه وأضربه ويعيه حفظ زحافاته وعلله .[1]

ونضيف من جانبنا ، أن العروض من العلوم العربية التي لم تحظ بكثير من التقدم . فمنذ وضع أسسه وقواعده عبقري العربية الفذ الخليل بن أحمد والكل يتوارثه خلف عن سلف ، وصل إلينا هكذا كاملا غير منقوص ، ولم يقل أحد — رغم مرور الأزمان — أنه استدرك شيئا على الخليل ، وهذا من أسباب صعوبة العروض في نظري . لقد استقرأ الرجل الشعر العربي ،

فوجده يدور حول مجموعة من الأنماط الموسيقية أطلق عليها اسم الأوزان أو البحور ، وهو بعمله هذا لم يترك شاردة أو واردة لمن بعده ، اللهم إلا ما استحدث زمن العباسيين من أوزان مهملة لم يكتب لها البقاء[٢] ، وما يقال من أن الأخفش تدارك عليه المتدارك .[٣]

وإن كنا مع هذا لا نعدم أن نجد من يقول : لقد كشف البحث المتقصي أن عمل الخليل ذو طبيعة تعميمية ، يتخذ الاستقراء النسبي مركزا لتطوره ، وينتفي نتيجة كون عمله حصراً مطلقاً لجسد الشعر العربي .[٤]

والآن ماذا أضاف ابن القطاع إلى الدراسة العروضية بكتابه هذا ؟ .. يقول المحقق عن الكتاب : وهو كتاب تعليمي ممتاز ، يسهل مهمة تعليم العروض ، وفي نفس الوقت كتاب جامع استقصى فيه المؤلف كل ما يمكن أن يدخل البيت من زحاف وعلل .... ولا أعتقد أنه وصلنا كتاب قبل هذا في العروض بأمثلته الوافية اللهم إلا كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي ت ٥٠٢ هـ . وهو معاصر لابن القطاع لكن هذا الكتاب (الكافي) لا يرقى إلى مستوى الجودة التي توفرت لكتاب البارع .[٥]

وهذه حماسة من المحقق يدفعه إليها تعايشه مع ابن القطاع ، وهي مبالغة ترفضها طبيعة الأشياء ، ثم أن تعبيره (لا يرقى إلى مستوى الجودة) لا يصح أن يطلق على تراث فكري أيا كان موقفنا منه . إن كلمة مستوى الجودة هذه تطلق على علب الحلوى وما شاكل ذلك .

وفضلا عن ذلك ، فقد أستفرغ ابن القطاع جهده في حصر الأبنية المهملة والزحافات الشاذة ، وأستشهد لها بأبيات لا تقل عنها غرابة وشذوذا ، وحسبك أن تعلم أنني أحصيت له أكثر من مائة شاهد من الشعر يقول عنها المحقق لا أعرف لها قائلا ، ومثلها تقريبا لم يعلق عليه بشيء . زيادة على صفحات كثيرة ، ملأها بحديث عن الزحافات وأنواعها وأمثلتها وأضربها [٦] ، وهو حديث لا طائل من ورائه .

ولنا بعد هذا وقفة لمناقشة بعض القضايا التي أثارها المحقق من خلال نصوص الكتاب .

١) في ص ٤٦ ينقل المحقق نصا للأخفش يقول فيه : أن العلماء جمعوا كل ما وصل اليهم من أبنية العرب فعرفوا عدد حروفها ساكنها ومتحركها وهذا البناء المؤلف من الكلام هو الذي تسميه العرب شعرا ، فما وافق هذا البناء الذي سمته العرب شعرا في عدد حروفه ساكنة ومتحركة فهو شعر وما خالفه وأن أشبهه في بعض الأشياء فليس اسمه شعرا ....

وبعد ذلك يعلق المحقق على هذا الكلام بقوله : أعتقد أن قول الأخفش أبلغ رد على دعاة الشعر (الذي يسمونه بالحر) في عصرنا الحديث نعم إن ما نسمعه من شعر حديث — كما يدعون — ما هو إلا لون من القصور الفكري واللغوي وضعف عروض واضح لا نقرهم عليه ، بل نرفض كل نماذج تخرج عن البناء التقليدي لأشعار العرب ، وليست هذه ردة ، بل تأصيل وصحوة وعود حميد إلى أصالة تراثنا العربي وعروضنا الزاهر الشامخ [٧]...

وهذا كلام في غاية الخطورة ، فأولا نص الأخفش لا يفيد هذا وليس فيه ما يجعل المحقق يذهب إلى ما ذهب إليه .

ثانيا من قال أن شعر نزار قباني والسياب والبياتي وصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وغيرهم وغيرهم لون من القصور الفكري واللغوي ؟

من قال أن هؤلاء الشعراء ضعاف في العروض ، إن جلهم قد نظم الشعر بصورتيه التقليدية والحديثة ، إنما هي حرية التعبير التي سمحت لهم بذلك .

وفضلا عن ذلك فليس مقبولا أن نقول : نرفض كل نماذج تخرج عن البناء التقليدي لأشعار العرب ... هذه المبالغة لم يعد هذا وقتها ...

٢) في ص ٤٨ يتحدث المحقق عن عبقري العربية الفذ ، واضع العروض العربي ، الخليل بن أحمد ، فيقول : ما من شك أن دارس العربية مهما كانت درجة درسه لها عالم بفضل الخليل عليها . ثم ينقل نصا من كتاب (مراتب النحويين) يقول عن الخليل .. أنه كان أعلم الناس وأذكاهم وأفضل الناس وأتقاهم ... ومع اعترافنا الكامل بفضل الخليل على اللغة وعلومها وعبقريته الفذة ، إلا أن هذه المبالغة لم تعد تصلح لتقويم فكر الرجال ، ومع ذلك ظل المحقق يدور حول هذه القضية مرددا هذا الكلام بالتصريح تارة وبالكناية تارة أخرى ... ذاكرا أشياء من علم الخليل وفضل الخليل

مستشهدا بأقوال كثير من العلماء . ثم ينهي الكلام بنص آخر من كتاب (مراتب النحويين) يقول : روي عن يحيى ابن خالد البرمكي أنه يقول : أربعة ليس في فهم مثلهم : أبو حنيفة في فنه ، والخليل بن أحمد في فنه وابن المقفع في فنه والفزاري في فنه .

هؤلاء الأعلام الأربعة وفنونهم ــ أظن أن القاريء يتفق معي أننا نعلم الثلاثة الأوائل ونعلم فنهم ، ولكن أنظر إلى تعليق المحقق على هذا النص يعلق على العلم الأول فيقول : الامام الأعظم صاحب المذهب الحنفي الشهير وفنه فقهه ... والعلم الثاني : الخليل بن أحمد وفنه العروض .. ونحن لم نكن في حاجة إلى هذا البسط والايضاح من المحقق ــ ولكنه ــ وهذا هو الذي كنا ننتظره منه ــ لم يقل لنا من الفزاري هذا ؟.. وما فنه ؟ .

٣) في ص ٥٣ يتحدث المحقق عن فاع لاتن ومستفع لن ذواتي الوتد المفروق ،وهما من سخافات العروض العربي ومن الأشياء المثيرة للطلاب حين يسألون المعلم عن الفرق بين مستفعلن ومستفع لن وبين فاعلاتن وفاع لاتن ، فلا يجد المعلم إجابة سوى أن يقول أن هذه ذات وتد مجموع وتلك ذات وتد مفروق فإذا سأله ولم كانت بوتد مفروق لم يجد إجابة إطلاقا إلا أن هذا حكم الدائرة دائرة السوء ... وقد أهمل ابن القطاع ــ والحق معه ــ الحديث عن ذواتي الوتد المفروق . ولكن المحقق لم يعجبه هذا من ابن القطاع فأنكر ذلك عليه قائلا : إذن فقد أخطأ ابن القطاع حينما أنكرهما ... ولم يكتف المحقق بما قاله هنا ، فعاد في ص ٧١ وتحدث عنهما قائلا : أهمل ابن القطاع جزأين مهمين مع معرفته بهما وهما مستفع لن وفاع لاتن .. مع أن المحقق لم يذكر فائدة واحدة لذكرهما ، وكل الذي قاله : أن الفرق واضح بين التفعيلتين ...

٤) في ص ١٠٢ استشهد ابن القطاع بالبيت التالي :

إن شواء ونشوة
وخبعب البازل الأمون

وعلق عليه المحقق بقوله : لم أعرف قائله وورد في كتاب سيبويه ٣٠٦/٢ والعيون الغائرة ١٦٠ ..

وقد رجعت إلى فهارس سيبويه للاستاذ عبد السلام هارون ، والاستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة فلم أجد بها هذا البيت ، وعلى كل هو مطلع مقطوعة لسلمىّ بن ربيعة ، وردت في حماسة أبي تمام .[٨]

هذه بعض ملاحظاتنا على هذا الكتاب ، ولكن بقي شيء مهم جداً وهو اضطراب المحقق في ذكر مراجعه إضطراباً شديداً ، فهناك مراجع نجدها في صلب الكتاب ولا نجدها في قائمة مصادره ، ومراجع تذكر بأسمائها فقط ، ومراجع تذكر خطأ ، وأسماء محققين تذكر خطأ ...

واليك أمثلة لكل هذا :

أولا : هناك أكثر من عشرين مرجعا تتردد أسماؤها كمراجع في صلب الكتاب وفي هوامشه ولا نجد لها ذكرا في قائمة مصادره .

من ذلك مثلا :

١ ــ كتاب العروض للأخفش ، ورد ذكره في الصفحات (٤٦ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٩) ومع كل هذه النقول لا نجد له ذكرا في قائمة مصادره ، ولا نعلم إذا كان المحقق يرجع إلى الكتاب مخطوطاً أم مطبوعاً .

٢ ــ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ورد ذكره في الصفحات (٨٧ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٦١) ومع ذلك ليس له ذكر في قائمة مصادره .

٣ ــ المعيار في أوزان الأشعار ، ورد ذكره في ص (١٧٦) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

٤ ــ الحيوان للجاحظ ، ورد ذكره في ص (١٨٩) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

٥ ــ تحرير التحبير لابن أبي الاصبع ورد ذكره في ص (١٨٩) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

٦ ــ سمط اللآلي ، ورد ذكره في ص (١٦٩) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

٧ ــ جمهرة أشعار العرب ، ورد ذكره في ص (١٦١) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

٨ ــ سيرة ابن هشام ، ورد ذكره في ص (١٣٩ ، ١٥٩) وليس له ذكر في قائمة مصادره .

وطبقات فحول الشعراء وشرع التصريح والمنصف لابن جني

وتفسير الطبري ... الخ .

كما أن هناك مجموعة من الدواوين الشعرية أشار إليها كمراجع ــ أيضا ــ وليس لها ذكر في قائمة مصادره .

ديوان المهلهل وديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، وديوان عدي بن زيد وديوان الهذلين ... الخ .

كما أنه في ص (١٣٢) أشار إلى مرجع أثار انتباهي وهو الأمالي ١٩٧/٣ كذا مجهولة مع أن هناك عشرات الكتب تحمل اسم الأمالي ، منها أمالي القالي والزجاج والزجاجي واليزيدي وابن الشجري والسهيلي ... فأي هؤلاء يقصد المحقق ؟ وكيف يتأكد القاريء من صحة نقله هذا ؟.. ومع ذلك ليس له ذكر في قائمة مصادره .

فضلا عن خلط آخر في قائمة المصادر ، فهو مثلا يضع الشعر والشعراء قبل شذرات الذهب .. ولسان العرب قبل كتاب سيبويه .

وهناك مرجع غريب ، هو المرجع رقم (٤١) في قائمته وهو : نقد الشعر للدكتور غنيمي هلال ، مبلغ علمي أن المرحوم الدكتور الغنيمي هلال ليس له كتاب بهذا الاسم وانما اسم كتابه « النقد الأدبي الحديث » .

وبعد هذا المرجع نجد « وفيات الأعيان » لابن خلكان تحقيق (محمد محي الدين ابراهيم) ولا أذكر محققا بهذا الاسم ، ولا أدري إن كان محمد محي الدين عبد الحميد ، أم محمد أبو الفضل ابراهيم .

فضلا عن مراجع أخرى تذكر دون بيانات كافية ، مثل : شرح الحماسة للمروزقي ، كذا فقط دون اشارة إلى محققيه أو طبعته أو مكان الطبعة .

والشعر والشعراء الحلبي ١٣٦٤ ــ كذا ... وليرجع القاريء إلى قائمة مصادره ففيها الكثير غير هذا .

ورغم كل هذا يجب أن نسجل للمحقق جهده الضخم في تحقيق هذا الكتاب ويكفي أنه نفض الغبار عنه بعد أن ظل حبيسا ألف سنة إلا مائة وأنه قوم ما اعوج من عباراته ، وناقش ابن القطاع في كثير من القضايا ولم يمدحه على طول الخط ، كذلك لم يتعمد نقده ، وكان موضوعيا في كثير من القضايا التي ناقشها . أما هذه الهنات فما أندر من ينجو منها ، وبخاصة إذا تعرض لتحقيق كتاب ضخم كهذا .

تحية للمحقق ورجاء أن يتدارك هذه الأخطاء في طبعة قادمة بإذن الله ، وبقدر قيمة العمل تكون المناقشات التي يثيرها .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

الهوامش

(١) مقدمة الكتاب ص ٧ .
(٢) راجع كتابنا : في موسيقى الشعر العربي قضايا ومناقشات (تحت الطبع)
(٣) لنا رأي في هذه القضية بسطناه في كتابنا المشار إليه .
(٤) البنية الايقاعية للشعر العربي : كمال أبو ديب ص ٤٤٧ .
(٥) ص ٣٤ ، ٣٥
(٦) راجع مثلا ص ٥٥ وما بعدها .
(٧) ص ٤٧
(٨) راجع شرح التبريزي للحماسة ١١٣٧/٣ .

ديوان بدوي الجبل في الميزان

جميل علوش

بدوي الجبل / ديوان بدوي الجبل . — بيروت : دار العودة ، ١٩٧٨ ، ٥٥٠ ص .

صدر ديوان بدوي الجبل عن دار العودة في بيروت سنة ١٩٧٨ م . وهو يقع في حوالى ٥٥٠ صفحة من الورق الأبيض الصقيل . ويجمع مختلف الموضوعات من مديح ورثاء وغزل ووطنية وخواطر وتأملات . ولم توزع القصائد في الديوان لا على أساس موضوعي ولا على أساس تاريخي . فالقصيدتان الأولى « الكعبة الزهراء » والثانية « ابتهالات » هما من آخر ما نظمَ الشاعر . والقصيدة الثالثة « إني لأشمت بالجبار » نظمت سنة ١٩٤١ م . وهكذا يبدو أنَّهُ لم يتمَّ ترتيب قصائد الديوان لا حسب خُطة معينة ولا حسب مقياس معروف .

وقد وشّحَ الاستاذ أكرم زعيتر الديوان بمقدمة جيّدة وعميقة . وهي تعتبر من أحسن ما كتب عن شعر البدوي . فقد وفّى الاستاذ زعيتر صديقه البدوي حقَّهُ في هذه المقدمة . فحدد ملامحه الشعرية وأبرز مزاياه وخصائصه . واستطاعَ أن يجلو صورة واضحة عن شاعرية البدوي ، وكيفية نظمه للشعر ، وما يتمتع به اسلوبه من سِماتٍ وصفات .

وقد أهدى البدوي ديوانه إلى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، دلالة على ما كان يشده إلى ذلك الملك العظيم من صلات الود والتقدير ، طيّب الله ثراهما .

وبدوي الجبل من شعراء العصر الكبار الذين يعتبرهم النقاد شعراء الطليعة ، وهم الجواهري وعمر أبو ريشة والأخطل الصغير . ولكل من هؤلاء الشعراء ميزات وخصائص ؛ كما أن لكل منهم أنصاراً ومؤيدين . والخلاف عليهم كالاختلاف على غيرهم من الشعراء الكبار القدامى والمحدثين . لقد اختلف النقاد القدامى على أبي تمّام والبحتري والمتنبي ، كما اختلف النقاد المحدثون على شوقي ومطران وحافظ وغيرهم . فالاختلاف في تحديد قيمة شاعر ما ليسَ أمراً عجباً ولا غريباً ، بل هو أمر طبيعي لأنَّ كل ناقد ينظر بمنظار معيّن وإلى زاوية معينة ، ومن خلال فهم خاص لوظيفة النقد ولخصائص الشاعر الحقيقي .

وكنت قد كتبتُ قبل أكثر من عشر سنوات عن بدوي الجبل من خلال حديثي عن طائفة من شعراء العصر الكبار . فلم يكن رأيي فيه حسناً ولا ايجابياً مما استثار بعض قراء كتابي « من شعراء العصر » في الكويت وحملهم على أن يوجّهوا إليَّ هجوماً شديداً غير متزن ولا منطقي .

وتوفيَ بدوي الجبل قبل حوالى عامين فاستثار موته همم الكُتّاب والصحفيين لتحبير المقالات والتعليقات والتحقيقات الكثيرة حول شخصية هذا الشاعر الكبير وتحديد مكانته الأدبية . وقد اتسمت هذه الكتابات بشيء من التسرع والسطحية والتركيز على أحداث حياة الشاعر أكثر من اهتمامها بالبحث عن خصائص شعره ومزايا شاعريته . فلقد اهتمَّ هؤلاء بتسجيل أحداث حياته وعلاقته بالحركة الوطنية والجوئِهِ إلى بغداد ثم اختلافه مع دولة الوحدة وسفره إلى جينيف وبقائه في المنفى مدة من الزمن ثم عودته إلى بَلَده بعد الانفصال . وعلى الرغم من أنَّ هذه الأحداث هي الخطوط العريضة لحياة شاعرنا فهي لا تعدو أن تكون سرداً لأمور معروفة لا يحتاج الإلمام بها إلى علم ولا عبقرية . والبدوي بحاجة إلى من يحلل شعره ويكشف جوهر شاعريته ، لا إلى صحفي يكتب عن أخباره وأحداث حياته .

ومن خلال اهتمامي بشعراء العصر ، ومنذ حوالى ثلاثين عاماً كنت كلّما اجتمعت بشاعر كبير ، أستفسر منه عن رأيه في البدوي ومكانته وطبيعة شعره . وقد سمعت من كلّ من وجهت إليه سؤالاً عن البدوي اجماعاً على سموّ شعره وتفضيله على غيره من الأقران . سمعت ذلك من سليمان العيسى ونزار قبّاني وعزيز أباظة مع اختلاف متفاوت في طبيعة هذا التقدير بين الحماسة المتدفقة والإعجاب الكثير أو القليل ، ومع ضرورة الاشارة إلى

أنّ أمين أمين نخلة وعزيز أباظة لم يكونا يفضلان على شوقي أحداً لا في القديم ولا في الحديث ، حتّى أنّ أمين نخلة كانَ مصاباً قبلَ وفاته بهوسٍ اسمه شوقي . على أنّ الأمانة تقتضيني أن أذكرَ أنّ الصورة اختلفت بعد ذلك . فقد لمستُ تحوّلاً في مواقف أدباء الشام وبغداد من البدوي في السنوات الأخيرة . وقد باحَ لي معظمهم بأنّ الجواهري استطاع أن يبذّه ، وأنّ تفوقَ الجواهري على البدوي لم يَعُد بحاجةٍ إلى برهان .

ولقد كنت مشغولاً بالجواهري وعمر أبي ريشة عن بقية شعراء العصر بعد شوقي وحافظ ومطران . فلم أكن مقتنعاً بكل ما كنت أسمَعُ عن البدوي . ويشهد الله أني حاولت مراراً أن أقرأ للبدوي وأن أتذوق شعره . ولكنني كنت أنتهي من قراءته مثلما أبدأ وأنا أشدُّ اقتناعاً بأنّ هذا الشاعر أُعطي فوق ما يستحقُّ من الثناء والإطراء .

وممّا يدعو إلى العجب أنّ ثمة تناقضاً كبيراً بين سمعة البدوي الطنانة الرنّانة وواقع الحياة الأدبية ، ويتلخص هذا التناقض أو هذه المفارقة في أنّ البدوي على الرغم من السمعة الطيّبة التي يظفر بها في العالم العربي لم يستطع أن ينفذ إلى المدارس والجامعات بخلاف عمر أبي ريشة والأخطل الصغير مثلاً . فحتّى الآن لم يقع بصري — على كثرة بحثي وتتبعي — على نص واحد من شعره أُدرجَ في كتاب مدرسي أو جامعي اللهم إلاّ نصاً واحداً مقتبساً من قصيدته اللامية في رثاء رياض الصلح (انظر الديوان ص ٢٣٥ وما بعدها) رأيته مدرجاً في كتاب مطالعة صادر عن وزارة التربية والتعليم في القطر السوري ، ونصاً آخر مقتبساً من قصيدته « إني لأشمت بالجبار » المثبتة في ديوانه (ص ٨٠ وما بعدها) رأيته مدرجاً في كتاب عنوانه « دروس في اللغة العربية » تأليف محمد الانطاكي ومحمود فاخوري (ص ١٥١ وما بعدها) يضافُ إلى ذلك قلة الدراسات النقدية التي اجريت عليه ، وأديرت حول شعره . فخير هذه الدراسات ما كتبه الاستاذ أكرم زعيتر مقدمة لديوان البدوي كما ذكرنا آنفاً . ولم أرَ في هذا المجال ما يضارعها أو يقف إلى جانبها سعة أفق ودقة تحليل . ومع ذلك فهي ما تزال قاصرة عن إيفاء البدوي حقه والإحاطة بكل خصائصه ومزاياه . ونعلم مدى الحيف الذي لحق بالبدوي إذا وازنّاه بعمر أبي ريشة أو الأخطل الصغير أو الجواهري مثلاً . حسبنا أن نعلم كم مرة طبع ديوان الجواهري وأن نعلم مدى المنافسة التي تدور بين دور النشر حول الفوز بإصدار طبعة جديدة لديوانه . فبالاضافة إلى الطبعات الكثيرة التي صدرت لديوانه قرأت قبل مدة أنّ دار العودة في بيروت دفعت مبلغ مائة ألف ليرة لبنانية مقابل الحصول على حق إصدار طبعة جديدة لديوانه . وقد تمّ إصدار هذه الطبعة فعلاً وفي المكتبات منها جزآن أو أكثر .

ولا أريد أن اتخذ من هذا التقصير في الاهتمام بشعر البدوي سبيلاً لتأكيد رأيي غير الايجابي منه . ولكنني أتساءل عن أسباب هذا التقصير أهي الناحية السياسية ؟ أهي الناحية الطائفية ؟ أهي قضية شخصية بحتة ؟ لا نستطيع الاجابة عن هذا كله وبخاصة أنه استطاع أن يحصل على مكانة ممتازة وسمعة طيبة كما ذكرنا آنفاً . وإذا كانَ قد حورب ونفي فإنَ الجواهري حورب ونفي كذلك . وكانَ نفي الجواهري سبباً في ازدياده شهرة ورفعة شأن . أيكون السر أن البدويَّ حصل على مكانته تلك في ظروف تختلف عن ظروفنا الحالية من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية ؟ ربما كان الأمر كذلك . ولكن أن يفقد شاعر من قيمته الأدبية مثل هذا المقدار في أقل من خمسين عاماً ، ليس دلالة خيّرة ولا فألاً حسناً على كل حال .

إنّ الشعراء الكبار من أقران البدوي كانوا موضع اهتمام النقاد والدارسين أكثر من بدوي الجبل . ولكي أكون أكثر تحديداً أقول : إنّ بدوي الجبل حَصّل على عبارات المديح والثناء والاعجاب أكثر من فوزه بدراسات نقدية عميقة تحدد أبعادَ هذا المدح والثناء والاعجاب . وما كتب عن البدوي لا يعدو أن يكون في مجمله كلاماً عاديّاً لا يحمل معه برهانه ولا يرقى إلى مستوى الحقيقة واليقين . أمّا ما كتبه الناقد اللبناني إيليّا الحاوي عن البدوي في « سلسلة الشعر العربي المعاصر » فهو ليسَ فخراً له على كل حال . فقد كان رأي الحاوي في الرصافي أفضل من رأيه فيه . فقد وصف البدوي بأنه « يخطر بالفلذة الشعرية المتفوقة وينزل في الغمرة والقاع ، ولا يميّز بين الحالين ، ولا يتفق شعره عليهما إذ لم تكن لديه الدربة النقديّة اليقظة المتحرجة التي تفصل بين قمح الشعير وزؤانه » وهو لا يكتفي بذلك بل يضيف إليه قوله : « ولكنّ النقد إذا عزمَ أن يقوّمهُ نهائياً صافياً ، فإنه يعثر فيه على هفواتٍ وهناتٍ قد تتمادى حتى لتبطله وتعفّي عليه » وممّا يخفف من أثر هذا الحكم على البدوي صدور أمثاله من نفس الناقد على كثير من الشعراء المعاصرين الذين تحدث عنهم في نفس السلسلة .

لقد عُرِف البدوي بصفاءِ ديباجته . وقيل أيضاً إنه أصفى الشعراء المعاصرين ديباجة بعد شوقي . وفي آخر اجتماع لي مع المرحوم أبي سلمى « عبد الكريم الكرمي » وكان ذلك في المهرجان الذي أقيم لتكريمه في بيروت بتاريخ ١٩٧٨/١٢/١٠ ذكر البدوي في حضرته ، فركّز أبو سلمى على ديباجة البدوي العربية الصافية ولم يزد على ذلك شيئاً . ويذكر الاستاذ أكرم زعيتر في مقدمته لديوان البدوي أن اللغوي الكبير اسعاف النشاشيبي اقترح أن يطلق على بدوي الجبل « لقب شاعر العربية » وأكّد أنّ البدوي أحق الشعراء بهذا اللقب (الديوان ص ٢٣) ولا يستطيع أحد أن يشكك في صفاء ديباجة البدوي . وتكمن هذه الديباجة في حرص البدوي على حسن اختيار ألفاظه وابتعاده عن الحوشي والغريب وتجنبه المعاظلة وتراكب الكلام واهتمامه بالجانب الموسيقي في الصياغة .

وربّما كان من أسباب ارتفاع مكانة البدوي في عالم الشعر أنّه كانَ من أوائل الشعراء الذين أدخلوا على الشعر المعاصر تغييرات جوهريّة تتلخص فيما يلي :

١ ــ أنّه انتقل بالشعر من التقريرية إلى الايحائية .
٢ ــ أنّه اعتمد على الصورة بدل الفكرة .
٣ ــ أنّه اعار موضوع الصدق أهمية كبيرة فلم يكن ينظم فيما لا علاقة له به .
٤ ــ أنّه أدرك أنّ الشعر تعبير عن عواطف وأحاسيس لا عن آراء وأفكار .

وعلى الرغم من أنّه كانَ ينظم في المناسبات كغيره من الشعراء فإنّ مناسبات شعره كانت جليلة راقية وكلها وطنية . وندر منها ما كان شخصيّاً (تكريمه لاستاذه الشيخ مصطفى الغلاييني ــ انظر الديوان ص ٤١٧ وما بعدها) وثمة فرق كبير عند ذكر المناسبة بين حفلة زواج أو طهور وموت زعيم وطني مثلاً . وتحسُّ في شعر البدوي حرصاً شديداً على أن يكونَ صادقاً في التعبير عن هموم نفسه وأشجانها .

ويعتبر البدوي كذلك قنطرة بين الاتجاه الكلاسيكي بما عرف عنه من عناية باللفظة المحكمة والمعنى المحدد ، والاتجاه الرومانسي بما عرف عنه من عناية باللفظة السهلة والمعنى الغائم . فقد كانَ شاعرنا وسطاً بين هذين الاتجاهين . كان وسطاً بين شوقي وحافظ ومطران من جهة وإلياس أبي شبكة ويوسف غصوب وابراهيم ناجي من جهة أخرى .

وخيال البدوي طريف مترف أنيق فهو كما قال فيه البدوي نفسه من قصيدة في رثاء الزعيم سعد الله الجابري (الديوان ص ١٢٠ وما بعدها) :

حَضَريُّ الخيالِ إن ذُكِرَ المنبتُ سمَّى نجداً وسَمَّى العقيقا .

فهو يصف شعره بأنّه يجمع بين الأصالة والاتصال بالتراث من جهة وجدّة الخيال المنبثق عن الالتصاق بالعصر والحضارة من جهة أخرى . وهو وصف صحيح إلى حدّ ما لأنَّ البدوي قد يرتد إلى أصله فيتلبَّسُهُ شيطان البداوة بين الحين والحين . فمن ذلك قوله من قصيدة أخرى في رثاء سعد الله الجابري أيضاً (الديوان ص ٢٤٤ وما بعدها) :

غيَّبَ الدهرُ من سيوف معدّ
مشرفيّاً حمى وزانَ معدّا
كلّما عارضوا الصوارمَ فيه
كانَ أمضى شباً وأصفى فرندا

فتشبيه البدوي للفقيد بالسيف تشبيه بدوي . وليته توقف عند مجرد التشبيه بالسيف فما زال الشعراء يستسيغون هذا التشبيه . ولكنّه اندفع في التشبيه حتى النهاية .فلم يكتف بصفةِ القطع جامعاً بين الفقيد والسيف بل تتبع المعنى فزعمَ أنَّ الفقيد لا يشبه السيف في مجرد القطع بل في أنّه أداة زينة على جانب صاحبه . يضافُ إلى ذلك أنَّ البدوي لم يستعمل التشبيه المعروف بل استعمل ما يُسمَّى بتشبيه التفضيل على زعم أنّ الفقيد كانَ أمضى حدّاً وأصفى جوهراً . وليسَ من المستنكر استخدام كلمة السيف ، فهي لفظة ذات دلالة تاريخية وايحاء قويّ ويقصد باستعمالها دائما الكناية عن القوة ، وإن كانَ مِنَ المستحسن استخدام كلمة السيف في القطع وسرعة الحسم كما قال أحد الشعراء من قصيدة :

ولم تك حاملاً في الحربِ سيفاً
فأنتَ السيفُ حسماً وانبتارا.

فقد شبه الشاعر المرثي بالسيف في سرعةِ البتر والانبتار كما قال المتنبي :

القاتل السيف في جسمِ القتيل به
وللسيوف كما للناس آجالُ .

فالاعتراضُ على البدوي هنا يكمن في النقاط التالية :

١ ــ استعمال لفظة « المشرفي » بدل السيف والمشرفي أكثر بداوة .

٢ ــ جعل السيف أداةً للزينة ، والأحرى به أن يستعمل أداة للقطع .

٣ ــ استخدام كلمة « معدّ » للدلالة على العرب أو رمزاً إليهم لأنَّ « معداً » هو جدهم الأعلى . ولا شك أنها بدوية .

ولقد كان أمين نخلة أكثر إجادةً وتوفيقاً في استخدام مثل هذه الألفاظ ذات الدلالة التاريخية . قالَ في رثاء رياض الصلح :

آخرُ العهدِ بالرماحِ العوالي
خابَ فيه لبنانُ والعربُ خابوا .

فهو بيت يتضمن كثيراً من الحسرة الصادقة على فقدان رياض الصلح لا يتضمن مثلَهُ بيتا البدوي في رثاء سعد الله الجابري .

فزعم البدوي أنَّ خياله حَضَري لا يطّرد ولا يصحُّ دائماً بل هو يتخلف في أحيان كثيرة . ولا غرابة في ذلك فإنَّ ثقافة البدوي العربية الأصيلة لابدَّ أن تؤثر في شعره فترده إلى منابعه الأولى التي هي نجد والعقيق على حدّ تعبير البدوي نفسه .

والبدوي إلى ذلك كلّه واضح السمات بيّن القسمات مستقل الشخصية . فهو قلّما يشبه أحداً من الشعراء القدامى أو المحدثين . فإذا حاولنا أن نلتمس له شبيهاً في الشعراء المحدثين ، وجدناه في الأخطل الصغير ، غير أنَّ وجوه الاختلاف تبقى قائمة بينهما . فالبدوي في الشعراء كالكميت بن زيد الذي قالَ فيه الأصمعي : الكميت في الشعراء كسهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مَعَها . وتفرد البدوي هذا أكبر رد على هؤلاء الذين يزعمون أنَّ كل من استخدم الشكل الكلاسيكي مقلّد . ذلك أنَّ كلاًّ من الشعراء الكبار عالم قائم بذاته على الرغم من تمسّكه بالوزن والقافية .

وعلى الرغم من كل المظاهر الايجابيّة في شعر البدوي لم أكن في لحظةٍ من اللحظات معجباً به . فقد قرأتُه مراراً وتكراراً قبل أن يصدر ديوانه فيما تيسرَ لي من قصائده المنشورة هنا وهناك . ولّما صدر ديوانه قرأته كذلك مراراً وتكراراً وتأملته طويلاً . ولكنَّ البدوي لم يستطعْ أن يحتلّ في نفسي منزلة كمنزلة الجواهري أو عمر أبي ريشة اللذين أحببتهما وأعجبت بهما وحفظت من شعرهما الشيء الكثير . كما لم استطع أن أقنع نفسي بأنَّ البدوي في منزلة الجواهري أو عمر .

ولقد كنت أبداً أبحث عن أسباب هذا القصور عن تلمُّس مكانة البدوي ومعرفة قيمته التي يتحدث عنها الآخرون . ولعلَّ من أسباب نزول مكانته في عيني أنه مقل جداً ، فقصائده محدودة معدودة . فقد سمعت كثيراً عن قصيدته النونية التي قالها في بغداد والتي مطلعها :

يا سامرَ الحيِّ هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحديدُ وما رقّوا لبلوانا

والتي يقول فيها :

إنّي لأشمتُ بالجبار يَصرعُهُ
طاغٍ ويرهقه ظلماً وطغياناً
عشرين عاماً جرعنا الكأس مترعة
من الأذى فتملي صرفها الآنا

(انظر الديوان ص ٨٠ وما بعدها)

فلم أجدْ في القصيدة شيئاً يستحق الوقوف وإطالة النظر . إنّها لا ترقى إلى مستوى شوقي في نكبة دمشق والتي مطلعها :

سَلامٌ من صَبا بردى أرقُّ
ودمّع لا يكفكف يا دمشقُ

أو قصيدة مطران في نكبة بيروت والتي مطلعها :

إلى مصر أزفُّ من الشآمِ
تحياتِ الكرام إلى الكرامِ

أو قصيدة عمر أبي ريشة في نكبة فلسطين والتي مطلعها :

أمتي هل لك بين الأممِ
مِنبَرٌ للسيـــف أو للقَلَـــم

ولعلّ القصيدة اكتسبت قيمتها من الموقف الوطني السياسي الذي عبّر عنه الشاعر فيها . وإلّا فهي أشتات مجتمعات من العواطف والمواقف . وهيَ من القصائد القلائل التي أشار فيها الشاعر إلى كفاح بلاده من أجلِ الاستقلال وطرد الفرنسيين . ومن الجدير بالملاحظة أنَّ هذه الإشارات المتفرقة إلى القضية الوطنية كانت تجيء إما من خِلال فقد صديق أو من خلال مناسبة وطنية كعيد الجلاء ، ولم تكن تجيء مستقلة بنفسها كقصائد الجواهري الشامخة الكثيرة في الأحداث الوطنية الكبرى والتي لا يتسع المجال لحصرها أو تعدادها ، وقصائده الشامخة في

الحرب العالمية الثانية كذلك ، وهي كثيرة . فأينَ هذا كله من بضعة أبيات ينثرها البدوي هنا وهناك في مناسبات مختلفة ؛ ونحن نعلم أنَّ العبرة ليست بالكثرة ، بل بالجودة . ولكنَّ شعرَ الجواهري كثير وجَيِّد . والكثرة والجودة من سِماتِ الشاعر العملاق ومن شروط الشعر الأصيل .

وبدوي الجبل كذلك غير منتظم التفكير فقصائده لا تلتزم بالوحدة الموضوعية كما فهمها العرب على الأقل . وأنا أعلم أنّ ثمة من استغل هذا الشعار للتعجيز والتشهير . وكنت قد أشرت إلى ذلك في عدة مواقع ومواضع . ولكني أود أن أؤكد أنني أتحدث عن الوحدة الموضوعية بمعناها القريب البسيط لا البعيد المعقد . وبهذا المقياس يبدو أنَّ البدويَّ يرفض أن يدور في نطاق موضوع واحد . فيجعل للقصيدة بناءً منتظماً تظهر ملامحها فيه واضحة بارزة . فهو يصرُّ على ألّا يفهمك لماذا وضع فكرة معينة في بدءِ القصيدة وفكرة أخرى في ختامها . فهو لا يحافظ على وحدة البناء الفني بالمقياس التقليدي على الأقل كما ذكرنا . فقد سمح القدامى بتعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة ، ولكنّهم اشترطوا حسن التخلص في الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر ، وأن يكونَ لكل موضوع مكانه الذي لا يتجاوزه ولا يتعدّاه . ولكنَّ شاعرنا ينثر الموضوعات المختلفة بطريقة عشوائية ، ونستطيع أن نمثل على هذه الفوضى في توزيع الأفكار بالإشارة إلى قصيدته في رثاء سعد الله الجابري (الديوان ص ١٢٠ وما بعدها) وعنوانها « نم بقلبي » فهي تجري على النّسَق التالي :

١ ــ مقدمة في طيف الفقيد (١٤ بيتا)
٢ ــ شجون الشاعر وهمومه (١٠)
٣ ــ وحدة الشاعر (٦)
٤ ــ مهاجمة وضع سياسي معيّن (١٦)
٥ ــ شكوى الشاعر إلى الفقيد (١٠)
٦ ــ مرض الفقيد وعلاقته بالغوطة (٩)
٧ ــ الطبيعة بين الفقيد والشاعر (٤)
٨ ــ خاتمة يعتزُّ فيها الشاعر بشعره (٧)

ونرى من خلال هذا التقسيم أنَّ الشاعر أدار معظم القصيدة على نفسه وهمومه وأشجانه ، ولم يترك للفقيد منها ألّا عدداً من الأبيات لا تتجاوز العشرين عدّاً ، يختلس منها خمسة أبيات لوصف الغوطة . فإذا أمعنّا النظر فيما خصصه الشاعر من المرثية للفقيد ، وجدناه يحوم على بعض المعاني العادية . فيشير إلى ما قاساه الفقيد في مرضه الأخير ، ثم يزعم أنّ الغوطة سألت الشاعر عن الفقيد فينتقل بسرعة إلى وصفها بخمسة أبيات كما ذكرنا آنفاً . فهل هذه قصيدة حقيقة بأن نزعم أنها قصيدة رثاء ؟ ومع ذلك فالقصيدة في المقاطع التي يتحدث فيها البدوي عن شؤونه وشجونه جميلة فيها شعر وفيها سحر ، والبدوي يجيدُ الوصف دون شك . ولكن أليسَ في الخروج عن الموضوعية إقحامُ عدة موضوعات في قصيدة واحدة دون تخطيط أو تنسيق ؟ ثم أليس من الخروج عن الموضوعية كذلك عدم توفية الموضوع الأساسي حقهُ والانسياق إلى منعرجات جانبية قد يكون لها علاقة بالموضوع الرئيسي من قريب أو بعيد ، غيرَ أنَّ الانسياق إليها دون تخطيط أو تنسيق أو تسويغ غيرُ مقبول بأية حال من الأحوال .

وحسبنا أن ننعم النظر في قصيدته « غربة الروح » التي نظمها في رثاء الزعيم فارس الخوري (الديوان ص ٢٤٧ وما بعدها) وهي من وزن القصيدة السابقة ورويّها على بعد الفترة الزمنية بين القصيدتين ، لنجدَ أنّه خصّصَ للمرثي حوالى ثلاثين بيتاً من جملة مئة وخمسة أبيات ، ثم سرحَ في كل واد ، وطوّف في كل نجد .

ومن هذا القبيل قصيدته في رثاء رياض الصلح (الديوان ص ٢٣٥ وما بعدها) فقد بلغت هذه القصيدة مئةً وأربعة عشر بيتاً لم يخصَّ المرثيّ منها بأكثر من أربعة عشر بيتاً على وجه التقريب . ولكي نعرف مدى اضطراب المسلك الذي اختاره البدويّ في رثاء رياض الصلح ، قد يكون من المناسب أن نعود إلى قصيدة أمين نخلة في الموضوع نفسه لنرى أية موضوعية يلتزم بها ذلك الشاعر . فهي تبلغ حوالى ستين بيتاً خصصها الشاعر كلّها للمرثي فاستوعب ما شاء أن يستوعب من خصاله وسجاياه استيعاباً دقيقاً ، دونَ أن يخرج عن ذلك إلى منعرجات جانبية ، صادراً عن شاعرية راقية دفّاقة .

وأنا أوُل من يعلم أنَّ بعض الطارئين على النقدِ استخدموا سلاح الوحدة الموضوعية ضدّ كل الشعراء بعشوائية وعدم بصيرة . وقد اكتويت أنا بنار هذا التطرف وقِصَرِ النظر . غير أنني أؤكد أنني لا أرمي ببصري هنا إلى أكثر ممّا طالب به

العرب حين أشاروا إلى ضرورة أخذالمعاني بعضها برقاب بعض ، وأن يجمع الشاعر اللفق إلى لفقه والبيت إلى أخيه لا إلى ابن عمّه ، وأنه إذا كان لابدَّ من التطرق إلى عدة موضوعات فعلى الشاعر أن يفرق بين ما هو رئيسي وما هو فرعي منها ، فيخص الموضوع الرئيسي بمعظم القصيدة ويجعل الموضوعات الفرعية حواشي له ، ومن خلال تخطيط مدروس يعتمد على تسلسل منطقي متدرج .

إنَّ ممّا يؤخذ على البدوي أنَّ قصائده بصفة عامة قصيدة واحدة ذات نسق واحد وجوّ شعريّ واحد . ومن المستطاع إقحام قصيدة في أخرى لولا القافية ولا نقول الوزن لأنَّ معظم قصائدة على البحر الخفيف . فمن المستطاع مثلاً دمج قصيدته في رثاء سعد الله الجابري بقصيدته في رثاء فارس الخوري وهما من نفس الوزن والقافية لولا الخشية من تكرار بعض ألفاظ القافية . ولقد كان البدوي في صباه أكثر انضباطاً في الالتزام بالموضوع الواحد ، ولكنّه أخذ يتخلى عن هذه الانضباطية كلّما كبرَ وامتدّ به العمر حتى أصبحَ في النهاية لا يعرف إلّا موضوعاً واحداً هو شؤونه وشجونه وأحزانه وآلامه .

ومن المزالق التي يعثر فيها البدوي تجرده من المنطق تجرداً كلياً . وقد يسأل سائل : وما العلاقة بين الشعر والمنطق ؟ والجواب عن ذلك أنَّ الشعر تعبير عن حقيقة خالدة ، فإذا وجدت هذه الحقيقة جاز للشاعر أن يكبّرها أو أن يقدمها للقارىء بالصورة التي يراها مناسبة مهما كانت هذه الحقيقة صغيرة . أما إذا لم تكن هذه الحقيقة موجودة فلا يحق للشاعر أن يلجأ إلى المبالغة والإحالة والتوهم ليخدع القارىء ويوهمه أنّه إنما يقدّم له الحقيقة ذاتها لا مشوهة ولا منقوصة .

ومن هذه المبالغات قول البدوي :

لو شاءَ أنزلَ بدر التِمّ فاحتفلت
به الندامى سراجاً في زوايانا

يزعمُ أنَّ الشعرَ إذا أراد أنزلَ البدر في ليلة التمام فاحتفل به رفاق الشرب كأنه سراج في زاوية . وعلى الرغم من أنَّ هذه الصورة هي محض وهم أو توهم لأنها غير ممكنة التحقيق ، فهي بالإضافة إلى ذلك لا تصحُّ أن تكونَ كناية عن شيء يستحق الاعتزاز به . فإنزال القمر مستحيل من جهة ، ومن جهة أخرى لم تكن الأقمار ولا السُرُج ممّا يحتفل به رفاق الصهباء . فهم يحتفلون بالطعامِ أو بالشرابِ أو بالوجه الأنيق أو بالصوت الرقيق أو بذلك كله ولكنّهم لا يحتفلون لا بقمر ولا بسراج . ولم يكن الاحتفال بالقمر مدعاةً للاعتزاز أو الافتخار في يوم من الأيام .

وقد يَقَعُ البَدَويُّ في التناقضات دون أن يشعر ، فتراه في قصيدته التي رثى بها رياض الصلح يقول في معرض حديثه عن الجراح : (ص ٢٣٩) :

هادراتٌ بخطبةِ المجدِ بتراءَ ويؤذي البلاغة التطويلُ .

والتناقض هنا يكمن في أنَّ الشاعر توهمَ أن « البتراء » تعني « الموجزة » فراحَ يقابل بين الإيجاز والتطويل . والواقع أنَّ هذه الصفة أضيفت إلى خطبة زياد بن أبيه لأنَّهُ لم يبدأها بالتحميد لا لأنها تتسم بالإيجاز . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يزعمُ البدوي أنَّ التطويل يؤذي البلاغة دونَ أن ينتبه إلى أنه بهذا القول يسدد السهام إلى صدره ، لأنَّ معظم قصائده تزيد على المائة ، بل هو في هذا المجال أكثر الشعراء العرب إطالة بصفة عامة ولا ينافسه إلّا الجواهري . فإذا كانَ التطويل يؤذي البلاغة أفما كانَ الأحرى به أن يتجنب التطويل والإطناب ؟

وفي قصيدة أخرى بعنوان « بدعة الذل » يقول البدوي (ص ١٠٤) :

أنا أبكي لكل قيْدٍ فأبكي
لقـــريضي تغلّـــهُ الأوزانُ

البدوي يبكي على قصيده الذي تقيده الأوزان . وهو رأي دعاة الشعر المنثور الذين يزعمون أنَّ الوزن والقافية قيود شديدة . فكيف يتفق البدوي مع هؤلاء في هذا الرأي الذي يخالف اتجاهه الكلاسيكي المتزمت ؟ لقد سُئِلَ البدوي عن هذا التناقض فاعتذر بأنها خاطرة عابرة لا تدلُّ على شيء وليسَ لها قيمة . ولكننا نؤكد أنّه ضرب من التناقض الذي أملاه الاندماج في التعبير عن فكرة معينة أو الانسياق وراء رسم صورة طريفة .

ويبدو أنَّ البدوي متأثر بشوقي إلى أبعد الحدود . فشوقي هو الشاعر الوحيد الذي يرثيهِ البدوي من بين الشعراء الكبار في قصيدة يقول في مطلعها (ص ٢٧٢) :

لا الأمس يسلبكَ الخلودَ ولا الغَدُ
هيّهات أنت على الزمان مخلَّدٌ

ومنها :

ياشاعرَ الدنيا لقد أسكرتها
ماذا تغنّيها وماذا تنشدُ ؟
خفَّتْ بزينتها إليك مشوقةً
سكرى تعبُّ كؤوسها وتعربدُ
وجلت على الشعراء قبلك حسنَها
لكن أراك شهدت مالم يَشهدوا

فهوَ يؤكد أنَّ سرَّ العبقرية عند شوقي يكمن في أنه يشهد من حسن الدنيا ما لم يشهد سواه من الشعراء لأنَّهُ انكشف له من ذاك الحسن مالم ينكشف لغيره .

ومن الأدلة الثابتة على هذا الاعجاب بشوقي أنَّ البدوي شارك في حفلة أقيمت في جونيه — لبنان لتكريم خليل مطران . وكأنَّ البدوي لم يعجبه ما قاله في مطران . أو كأنه قال ما قال مجاملة ومجاراة فحذف كل ما يتعلق بمطران في القصيدة وبقيت قرعاء بلا مطلع وبلا موضوع (انظر الديوان ص ٤٦٩ — ٤٧١) .

وفي قصيدة أخرى يوجه البدوي الخطاب إلى شوقي مشيراً إلى قصيدته السينية التي نظمها في الأندلس فيقول (انظر مقدمة الديوان ص ٤٢) :

يا رائي الحمراء جلَّ عن البلى
صرْحٌ بدمعك سطَّرت مرثاتُهُ
لو كانَ ربُّ القصر يسمَعُ ضيفه
لسعت إليك وفوده وهباتُهُ
أو كانَ يدري القصر من في بابه
خَلَعَ البلى وازينت شرفاتُهُ

وهذا كلام جَيِّد يليق بشوقي كما يليق بالبدوي :

وقد بلغ من تأثر البدوي بشوقي أنه نسخ بعضَ أبياته نسخاً يكاد يكون كاملاً . قال شوقي في رثاء ثروت باشا (انظر الديوان ج ٣ ص ٦٢) :

أبا عزيزٍ سلامُ الله لا رُسُلٌ
إليك تحمل أشواقي ولا بُرُدُ

وقال البدوي في رثاء كامل مروّة (الديوان ص ٢٩٧) :

أبا جميل سلام الله لا كُتُبٌ
إليك تحمل أشواقي ولا بُرُدُ

وقال شوقي :

لَما أناخت على تامورك انفجرت
أزكى من الورد أو من مائه الوُرُدُ

فقال البدوي :

أحنو على دمك المطلول ألثمه
أزكى من الورد ما جاءت به الوردُ

وقال شوقي :

نشأت في جبهة الدنيا وفي فَمِها
يدور حيث تدور المجد والحَسَدُ

فقال البدوي :

والعبقري غريب في مواطنه
يدور حيث يدور الحقد والحَسَدُ

وقال شوقي :

تلك البقية من سيف الحمى كِسَرٌ
على السريرِ ومن رمح الحمى قِصَدُ

فقال البدوي :

معارك الحق من أجسادهم مِزَقٌ
على ثراها ومن قرانهم قِصَدُ

هذا كلُّهُ من قصيدة واحدة ولا ضرورة للاسترسال في ذلك ، فالقليل يغني عن الكثير .

والبدوي كما يأخذ اللفظ والمعنى يكتفي بأخذ المعنى أحياناً . وذلك في مثل قوله (ص ٢٩٨) :

وربَّ شاكٍ فساد العصر يظلمه
لم يفسد العصر لكن أهله فَسَدوا

فهو مأخوذ من قول أحد الشعراء القدامى :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

وقال البدوي (ص ١٣٨) :

يا فيصلاً ورنا نجم لصاحبه
يقول فيصل أحلانا وأغلانا

وهو مأخوذ من قول الأخطل الصغير :

وتمتمت نجمة في أذن جارتها
لّما رأتها وجُنت عند مرآها
أنظرن يا أخوتا هذي شقيقتنا
فمن تراه على الغبراء ألقاها

وقد جمع البدوي البيتين في بيت واحد .

وربّما انعكست الآية فأخذ الأخطل من البدوي . واعتادنا في ذلك على الموازنة التاريخية بين كل قصيدتين جرى الالتقاء بينهما حرصاً على النزاهة والإنصاف .

قال الأخطل :

إني افدي كل شمس أصيلة
حذر المغيب بألف شمس صَباح

وهو مأخوذ من قول البدوي (الديوان ص ٢٣٠) :

روعة الشمس في الغروب ولا أعشق للشمس عنفواناً ورأدا

ولا شك أن بيت الأخطل أجمل وأروع ولذلك فهو أولى به من صاحبه .

ويقول البدوي (الديوان ص ١٨٤) :

وتوجز في قارورة العطر روضة
وتوجز في كأس الرحيق كرومُ

وهو مأخوذ من قول خليل مطران :

سلمى العلوم جميعها في لفظةٍ
كالعطرِ قطرته عصير جنانِ

ويقول البدوي (الديوان ص ٤١٨) :

نطوّف ما نطوّف ثمّ نأوي
إلى أفيائها النضر الرطابِ

وهو مأخوذ من قول الحطيئة :

أطوّف ما أطوّف ثمّ آوي
إلى بيت قعيدته لكاع

وهو من أبيات الشواهد .

وبالاضافة إلى كلّ ما سبق ، يشكو ديوان البدوي من النواقص التالية :

١ ــ عدم توضيح عناوين القصائد بشرح قليل يبيّن مناسبتها والظروف التي قيلت فيها . ولعل هذا التصرف هو هروب أو تهرب ممّا قد يوجه إلى القصيدة من اتهام بأنّها من شعر المناسبات . وقد وقع في هذا الوهم كثير من شعراء العصر وعلى رأسهم الأخطل الصغير أو المشرفون على طباعة ديوانه . ومن هذه القصائد التي توقع القارىء في الحيرة لعدم اقتران عنوانها بما يوضحه قصيدة « حيرة النفس » (الديوان ص ٣٣٧) فهي قصيدة غامضة لا يعرف موضوعها ولا هدفها وبخاصة أنه يوجه الخطاب في البيت الأول منها إلى مجهول ، دون أن يكون في عنوانها ولا في نصّها ما يشير إلى هذا المجهول وهذا هو مطلع القصيدة :

شجاها من عهودك ما شجاها
وجنّ الليل فاذّكرت أساها

فهنا ضميران : الأول ضمير الغائبة في « شجاها » و« أساها » وضمير المخاطب في « عهودك » وإذا كان ضمير الغائبة يعود إلى النفس التي ذكرها في العنوان فلمن تعود كاف الخطاب ؟ ولا ينحصر الغموض في مرجع الضمير إلى غير معروف ، فكل القصيدة على هذا النمط من الغموض والاستغلاق .

٢ ــ عدم الالتزام بذكر تاريخ كل قصيدة . فهو يثبتُ هذا التاريخ إذا شاء ويحذفه إذا شاء . فمن القصائد التي لم يثبت بذيلها تاريخ نظمها أو نشرها (جلونا الفاتحين ص ١١٤) و(نم بقلبي ص ١٢٠) و (جمرة الدنيا ص ١٣٩) و (تحية فيصل الصغير ص ١٤٣) وغيرها . وممّا يدعو إلى العجب أن ينظم البدوي قصيدتين في هجاء المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر طيّب الله ثراه هما : (كافور ص ١٤٦) و (فرعون ص ١٥١) فيثبت تاريخ الثانية وهو ١٩٦٦ وينسى تاريخ الأولى . ولا يسوّغ ذلك إلّا الفوضى وقلة التنظيم فمن المعروف أن ذكر تاريخ أية قصيدة يفيد في تتبع تطوّر شاعرية الشاعر ودراسة أحداث حياته وإلقاء الضوء على مواقفه السياسية والوطنية والاجتماعية الخ ...

٣ ــ لم يلتزم الشاعر خطة معينة في ترتيب قصائد الديوان . فإذا كان التزام الترتيب الابجدي للقوافي نهجاً لا يناسب العصر ، فإن ترتيب القصائد حسب موضوعاتها هو النظام الذي جرى عليه المشرفون على جمع دواوين كبار شعراء العصر كشوقي وحافظ ومطران . وكان من المناسب أن يُلتزم النهج الموضوعي في ترتيب قصائد ديوان البدوي . ولكن مادامَ هذا النهج لم يُلتزم أيضاً لسبب أو لآخر فلا أقل من أن ترتب القصائد حسب تسلسلها التاريخي من الأقدم إلى الأحدث . وإلا فإن جمع القصائد في ديوان دون النظر إلى أية خطة أو منهج هو ضرب من الفوضى والتقصير بحق شاعر كبير كبدوي الجبل ، إذ أية حكمة بل أية فائدة في تكديس هذا الحشد من قصائد البدوي

دون النظر إلى أي اعتبار من الاعتبارات التي يستند إليها جامعو الدواوين والمشرفون على طباعتها ؟

٤ ــ يبدو أن الديوان لا يتضمن كل ما نظم البدوي في حياته من شعر . فليسَ من المعقول أن ينحصر انتاج البدوي في هذا الديوان الذي لا يزيد حجمه على خمسمائة وخمسين صفحة بمعدل عشرة أبيات للصفحة الواحدة فيكون مجموع ما نظمه البدوي في حياته في حدود خمسة آلاف وخمسمائة بيتاً من الشعر . في حين أنَّ بعض من عاشوا أقل منه عمراً كشوقي وحافظ نظموا أكثر من هذه الكمية . فشعر شوقي يربو على اثني عشر ألف بيت وشعر حافظ يربو على سبعة آلاف بيت بله شعر مطران والجواهري . والذي يدعو إلى التعجب أن قصائد البدوي مفرطة في الطول . ولا ينافسه في هذا الميدان كما ذكرنا آنفاً إلا الجواهري . فكيف يقبل العقل أن يكون هذا الديوان هو كل ما نظم البدوي ؟ إن ثمة إشارات تدل على أن شعرَ البدوي لم يثبت كاملاً في الديوان . والمجال لا يتسع للافاضة في هذا الموضوع فلنتركه إلى فرصة أخرى .

وصفوة القول أنَّ البدوي شاعر كبير . ولكن من المبالغة بمكان أن نقرنه بالمتنبي . فلا شك أنَّ من يطلقون عليه هذا اللقب هم ممن يتقبلون الحقائق عن طريق السماع لا عن طريق التمحيص والتحقيق بله الدراسة والتحليل . فليسَ ثمَّةَ أي شك في أنَّ شوقي أكبر من البدوي وأعظم وهو أحق بأن يقاس بالمتنبّي . أما البدوي فلا علاقة له بالمتنبي لا من قريب ولا من بعيد . والفخر بنفسه لا يكفي لأن يجعل منه شاعراً كالمتنبي فكثير من فخر البدوي غير مقبول .

ولاشك أن بعض شعر البدوي يرتفع إلى أرقى مستويات الشعر وبخاصة في مجال الشعر الوجداني والوصفي . ولكننا نأخذ عليه أنه حصر نفسَه في مجال ضيق وقديماً فضّلوا أبا نواس على مسلم بن الوليد لأنه يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب إن شاءَ جدَّ وإن شاء هزل ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعدّاه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه .

والبدوي كمسلم يلزم طريقاً واحداً . فكلُّ قصائده تدور حول أشخاص معينين إما مدحاً وإما رثاءً . أما الشاعر الذي يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب والذي يجري في مضمار لا يسبق فيه ولا يلحق فهو الجواهري ، وربّما احتجنا إلى بحث آخر لنظهر مدى الفارق الكبير بين شاعرية كل منهما . وفوق كل ذي علم عليم .

ديوان شوقي في طبعة جديدة

عصام الغزالي

شوقي ، أحمد / ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب أحمد الحوفي . ــ القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٨١ م .

مع أن شعر أحمد شوقي كله ــ أو أكثره الكثرة المطلقة ــ منشور بين أيدي الناس وعلى ألسنة الأدباء ، ومع أن كتاب الدكتور محمد صبري السوربوني « الشوقيات المجهولة » سد نقصاً كبيراً في تأريخ ديوان أمير الشعراء ، مع ذلك فإن إصدار هذا الديوان على هذه الصورة الجديدة يعتبر عملاً كبير القيمة ، يتناسب مع مكانة هذا العلم العملاق ، ومن أجدر بأن يوثق شعره من شوقي مالىء الدنيا ولو بعد وفاته ، وشاغل الناس فحتى يومنا لم ينفضوا عنه .

شاء الله أن يواكب وجود الطبعة الأولى من هذا الديوان في أيدي القراء مناسبتين ، الأولى تتعلق بصاحب الديوان وهي الاحتفالات بمرور نصف قرن على وفاة أمير الشعراء في خريف عام ١٩٣٢ م ، والثانية تتعلق بمحققه الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم بمصر ، وهي وفاته في شتاء هذا العام ١٩٨٣ م ، رحم الله العلمين ، وغفر لهما ولنا .

والديوان صدر في جزأين من القطع المتوسط :

الجزء الأول

ويقع في سبع وأربعين وستمائة صفحة تشتمل ــ بعد مقدمة المحقق التي تغطي خمساً وثلاثين صفحة منه ــ على هذه الأقسام :

وصف : مقطوعتان وست وثلاثون قصيدة معظمها من طوال القصائد تتنوع ما بين وصف أماكن ومدن وآثار وطبيعة ومراقص ومخترعات وأحداث ، ومن بينها معارضة شوقي لعينية ابن سينا في « النفس » ، وكذلك معارضته لنونية ابن زيدون بعنوان (أندلسية) .

تاريخ : ويُطلع هذا الباب إحدى عشرة قصيدة أكثرها من أطول قصائد شوقي ، منها معارضته لسينية البحتري الشهيرة ، ويذيل المحقق هذا الباب بإشارة إلى أراجيز لشوقي في سبعة وعشرين وخمسمائة وألف بيت موضوعها « دول العرب وعظماء الإسلام » طبعت في العام التالي لوفاة شوقي وتشتمل على خمسة وعشرين عنواناً غير المقدمة ولم يثبت منها في الديوان إلا موشحة « صقر قريش »ويفضل أن تبقى مستقلة عن قسم التاريخ بالديوان ، ويرجو أن يتمكن من إخراجها على نسق إخراجه للديوان ، أمنية كانت المنية أسرع من تحقيقها !

سياسة : ست وعشرون قصيدة أكثرها من الطوال ، منها معارضته لبائية أبي تمام ، تلاحق الأحداثَ السياسية من حوله في مصر والشرق والعالم .

تحية وتكريم : ثمان وأربعون قصيدة وخمس مقطوعات في تحية وتكريم أشخاص ومواقف ومناسبات ، منها قصيدته النونية عند مبايعته أميراً للشعراء ، وللجزء الأول لحق بعدَ فهرسه هو قصيدتان عثر عليهما المحقق بعد طبع باب التحية والترحيب ففاتهما مكانهما من هذه الطبعة ، الأولى تحية لفكري أباظة والثانية تحية لأحمد رامي .

نبويات : وقد أحسن المحقق عملاً حين أفرد لقصائد شوقي في مدح رسول الله ﷺ هذا الباب ، هذه القصائد التي بوأت صاحبها مكانة فريدة عبر عنها فقال مخاطبا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في إحداها :

مدحت المالكين فزدت قدراً
فحين مدحتك اقتدتُ السحابا

ونبويات شوقي أربع قصائد عصماوات تبدأ بالهمزة فالبائية وتنتهي بنهج البردة معارضاً البوصيري تسبقها ميمية أخرى ، وبالنبويات يختتم الجزء الأول بتوافق طيب مع هذا البيت :

يارب أحسنت بدءَ المسلمين به
فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

الجزء الثاني

ويقع في سبع وثلاثين وسبعمائة صفحة تشتمل ــ قبل الفهارس الفنية التي تستغرق ثماني عشرة ومائة صفحة ــ على هذه الأقسام :

اجتماع : ست وعشرون قصيدة في مناسبات ومواقف اجتماعية مصرية .

غزل : إحدى وخمسون قصيدة وثمان مقطوعات في الغزل من بينها قصيدته الدالية في معارضة دالية الحصري « ياليل الصبُّ متى غده ... » ويلاحظ أن فهرس القصائد الخاص بالجزء الثاني قد سقطت منه الإشارة إلى إحدى قصائد باب الغزل ، وهي قصيدة « العيون الساحرة » ومطلعها :

مَن صوَّر السحرَ المبين عيونا
وأحلَّهُ حدقاً لها وجفونا

وتقع في صفحتي ١٥٤ ، ١٥٥ ما بين قصيدتي « زين الحسان » و « الروح ملك يمينه » .

هجـــاء : ويلاحظ أن شوقيا لم يهج إلا شخصين في أربع قصائد ، ثانيهما هو رئيس الوزراء مصطفى رياض باشا في القصيدة الرابعة هجاء أقرب إلى النقد السياسي .

وأولهما هو الزعيم أحمد عرابي قائد الثورة العرابية وتوجه إليه قصائد الهجاء الثلاث الأولى بائية

ويائية وميمية ، يسبق هذه القصائد توضيح للمحقق بعنوان « شعره في الثورة العرابية » ، ويلي هذه القصائد التي رتَّبها المحقق وفق التسلسل التاريخي متجاوزا بذلك أسلوبه في ترتيب قصائد كل قسم بحسب قوافيها ، يلي هذه القصائد إشارة تحت عنوان « تهجم متفرق » إلى تهجم شوقي على عرابي في ثنايا بعض قصائده الأخرى التي لم تفرد لذلك .

وذيل المحقق كل ذلك برواية يميل بها إلى الظن أن شوقيا غير رأيه في عرابي وثورته بعد ذلك ، وذلك تحت عنوان : « هل غير شوقي رأيه ؟ » وخاتمة باب الهجاء هي قصيدة الهجاء الرابعة التي أشرنا إليها سالفا وهي تحت عنوان « خاتمة رياض » .

دعابـــة : مقطوعة من بيتين ، وست قصائد في مداعبة أصدقاء له أبرزهم الدكتور محجوب ثابت الذي تعلقت بمداعبته خمس قصائد ، بينا توجهت السادسة لمعابثة الشاعر خليل مطران .

وقد يكون مما فات المحقق إيراد بيت لشوقي في مداعبة شاعر النيل حافظ إبراهيم فيما قيل من أنهما اتفقا على أن يهجو كل منهما صاحبه ببيت واحد فقال حافظ :

يقولون إن الشوق نار ولوعة
فما لشوقي اليوم أصبح باردا ؟

فرد شوقي :

وأودعت إنساناً وكلباً وديعة
فضيعها الإنسان، والكلب حافظُ

متنوعات : خمس قصائد قصيرة وست عشرة مقطوعة متنوعة الموضوعات أورد المحقق إحداها بخط يد أمير الشعراء تحت عنوان (نجد وأيامنا هازلة) ثم أتبع الصورة المنقولة عن مجلة (مجلتي) بنص للقصيدة مجموعة بحروف الطباعة تحت عنوان آخر هو (مِن حِكم شوقي)

حديقة الأطفال :

وهذا القسم يتشعب إلى ثلاثة أفرع :

أولاً : شعر شوقي في أبنائه :

ويشتمل على عشر قصائد وثلاث مقطوعات .

ثانياً : أغنيات وأناشيد :

ويشتمل على عشر قصائد تدور موضوعاتها حول حب الأسرة والوطن والمدرسة والحيوانات الأليفة .

ثالثاً : حكايات للأطفال :

ويشتمل على اثنتين وخمسين قصيدة وثلاث مقطوعات .

ويلاحظ أن المحقق آثر أن يتركها على الترتيب الذي وجده بالشوقيات ولم يرتبها بحسب القافية ، كما يلاحظ أن عنوان كل قصيدة قد فُسِّر بعنوان ثانوي قبل نصها يوضح مغزاها ومدلولها .

كذلك يلاحظ أن جميع هذه الحكايات ما عدا الحكايتين الأولين منها تحكي عن حيوانات مختلفة على نمط كليلة ودمنة في نثر ابن المقفع .

الرثـــاء : ولا ندري لماذا انفرد هذا القسم (بأل) بأداة التعريف من المحقق فلم تورد قصائده تحت عنوان (رثاء) شأن بقية الأقسام ؟! وهو ثنتان وسبعون قصيدة في رثاء أقارب وأصدقاء وشخصيات عامة وأعلام أدبية وفنية وسياسية واجتماعية مصرية وعربية وإسلامية وعالمية .

وقد ألحق المحقق هذا القسم ببيان أشار فيه إلى مراث وردت في الشوقيات طبعة ۱۸۹۸ م ولم ترد في الجزء الثالث من الطبعات المجزأة للشوقيات بعد ذلك ، عدد هذه الاشارات سبع . يليها في نفس اللحق ثمان إشارات أخرى يمكن اعتبارها جميعا مما فاته باب التحية والتكريم .

وبذلك يختتم الجزء الثاني قبل الفهارس .

—

وفي نهاية كل من الجزأين فهرس لقصائد هذا الجزء يوضح عنوان القصيدة ومطلعها وموقعها من الصفحات .

ويلي فهرس الجزء الثاني الفهارس الفنية للديوان جميعاً وتبدأ بفهرس اللغة مرتباً المادة اللغوية ترتيباً معجمياً موضحاً مواقعها في الديوان مذيلاً الفهرس اللغوي بقائمة كلمات ليست بالمعاجم اللغوية وردت في الديوان ، ثم تثني الفهارس الفنية بفهرس

الأعلام والأجناس والطوائف والقبائل مرتبة ترتيباً أبجدياً ومبيناً مواقعها في الديوان ، وتثلث بفهرس الأماكن على نفس النمط وتختتم الفهارس ومعها يختتم الديوان — أو يقفى — بفهرس القافية وفق حروف المعجم موضحاً أول المطلع ونهايته وموقع القصيدة .

وسقطت من فهرس القوافي الإشارة إلى قصيدة (ملك الكنار) التي مطلعها (صداح ياملك الكنار) وقافيتها من حرف اللام المتحرك بالكسر (البلبل) وموضع هذه الإشارة الواجب إيرادها فيه هو في صفحة ٧٣٢ بين المطلعين : (لنا صاحب) و (بات المعنى) وهي مدرجة في الديوان ص ١٣٣ من الجزء الأول .

ويلاحظ أن ديوان شوقي لا يضم بالطبع أعماله الشعرية الكاملة فبالإضافة إلى ملاحظة المحقق حول أراجيز شوقي التي لم تدون في هذا الديوان والسالف ذكرها في هذا العرض ، لم يكن من هدف المحقق أيضا جمع مسرحياته الشعرية الست وتحقيقها في هذا العمل المعتنى به .

المقدمة

وقد قسم المحقق مقدمة الديوان التي صدَّر بها مجهوده المقدور إلى خمسة عناوين :

أولا : شوقي

وتحت هذا العنوان ترجم لشوقي (١٨٦٨ — ١٩٣٢ م) فتحدث عن نسبه وأسرته ومولده ثم عن نشأته وتعليمه وثقافته ثم عن الأحداث التي مرت به في حياته الخاصة ثم العامة ثم عن شاعريته وتطورها ومنزلته بين الشعراء ثم عن أغراض شعره وآثار ظهوره وتجديده في الأدب العربي الحديث .

ثانياً : صلتي بشوقي

أي صلة المحقق بالشاعر .

ثالثاً : عيوب الشوقيات

وفيه أشار إلى صدور شعر شوقي تحت عنوان الشوقيات مرتين : الأولى في جزء واحد صغير الحجم في طبعتين عامي ١٨٩٨ م ، ١٩١١ م ، والثانية في أربعة أجزاء صدر الأول منها عام ١٩٢٦ م والثاني عام ١٩٣٠ م وصدر الثالث والرابع بعد وفاة شوقي عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ على الترتيب .

وبين المحقق أن الإصدار الثاني المجزأ هو ما كان مدار اهتمامه وأنه لاحظ عليه هذه المآخذ :

١ — عدم دقة توزع القصائد تحت أبواب الموضوعات .

٢ — اشتمال الديوان على كلمات كثيرة جداً صعبة محتاجة إلى شرح حتى يتبين معنى البيت أو معنى الجملة ، وضرب على ذلك عديداً من الأمثلة زادت على خمسمائة مثال .

٣ — ورود أعلام كثيرة بشعر شوقي كثير منها في حاجة إلى تعريف به ليتضح المعنى الذي أراده الشاعر ، وضرب المحقق على ذلك عديداً من الأمثلة بلغ عددها ستين مثالاً .

٤ — جاء بشرح الشوقيات كلمات مشروحة شرحاً محتاجاً إلى تصويب وكلمات مضبوطة ضبطاً غير صحيح مثل لها المحقق .

٥ — جاءت في شعر شوقي كلمات ليست في المعاجم اللغوية منها خمسة وعشرون مثلاً ضربه المحقق .

رابعا : عملي بالشوقيات :

وهذا لب الجهد الكبير الذي بذله الدكتور الحوفي رحمه الله ، وقد أوجزه في هذه النقاط :

١ — تسمية الديوان تسمية جديدة (ديوان شوقي) .

٢ — تقسيمه إلى الموضوعات التي يتميز كل منها بطابعه الخاص على النحو السابق سرده معتمداً في ذلك التقسيم على الطابع العام للقصيدة ومستعيضاً في باب المدح عن كلمة المدح أو المديح بعنوان آخر هو (تحية وتكريم) لأن طابع أغلب قصائد هذا القسم هو التهنئة والتحية والتقدير .

الوَضعُ في الحَديثِ لِعُمَر فلاتَة

فلاتة ، عمر بن حسن عثمان / الوضع في الحديث . ٣ ج . بيروت ودمشق : مؤسسة مناهل العرفان ومكتبة الغزالي ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م ، ١٤٠٠ ص .

قُدمت هذه الدراسة كرسالة لنيل درجة العالمية « الدكتوراه » من قسم الحديث ــ كلية أصول الدين ــ جامعة الأزهر عام ١٣٩٧ هـ . وقد نظر المؤلف لأهمية الحديث النبوي الشريف ومكانته في التشريع الإسلامي وربط بين القرآن والسنة في آية كفالة الحفظ « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وبذلك تكرس هذه الدراسة لبيان ما تأتي على الصعيد التاريخي من حفظ للسنة النبوية الشريفة من الضياع والتشويه . وهنا يأتي باب الوضع على الرسول ﷺ وكيف كفل الله تعالى لهذا الفرع من الشريعة وسائل دحض الافتراء وإبعاد الشبهات .

ونسبة لأهمية موضوع الوضع في الحديث وطول هذا المبحث فقد اجتزأنا من « مقدمة » المؤلف ما أراد من دراسته وما نهج في تلك الدراسة من خطط .

يوضح الكاتب كيفية تقسيمه لدراسته فيقول :

أما المقدمة ، فقد اشتملت على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول ، أفرد لبيان منهج الباحث في الرسالة من حيث الدافع لاختيار الموضوع والهدف المنشود من هذا البحث ، والطريقة التي سارت عليه .

المبحث الثاني ، والثالث : هما عبارة عن مدخل للرسالة .

أفرد الأول منه لعرض معنى السنة وما يرادفها من ألفاظ ، وبيان أوجه استعمالات العلماء لهذه العبارة . وقد استهدف الباحث من ذلك بيان الاستعمال الذي سار عليه في استخدام هذه العبارة حيث سلك فيها طريق المحدثين .

وأما المبحث الثاني ، فلما كان الحديث الموضوع في اعتبار المحدثين قسماً من الأحاديث الموضوعة رأى من المناسب التعرض لأقسام الحديث وبيان المقبول منه والمردود ، والأمور الموجبة لقبول الحديث أورده ، ومنشأ الضعف في الحديث وأنواعه ، وحكم العمل به وروايته . وما يتقوى منه وما لا يتقوى ، والقصد من ذلك تحديد مكان الحديث الموضوع وبيان منزلته ، بالاضافة إلى اعطاء القارىء تصورا عاما متكاملا عن الجهد الذي بذله علماء الأمة في سبيل نقاء ما استحفظوا عليه وكانوا عليه شهداء .

فالمبحثان قد جاءا توطئة وتمهيدا للموضوع وانتقالا من العام إلى الخاص فالأخص .

أما موضوع الرسالة (الوضع في الحديث) فقد حاول في هذه الدراسة إعطاء صورة كاملة له في إطار الغرض الذي استهدفه ، وتبعا لذلك فقد قسم المبحث إلى مسائل ثلاث رئيسية :

المسألة الأولى :

الإلمام بما يتعلق بالوضع وأحكامه من حيث التعريف به ، ومعرفة ما يدل عليه من عبارات وألفاظ ، ومجال إطلاق المحدثين له ومدى إمكان وقوعه ونشأته ودوافعه وما يثبت به ، والأحكام المتعلقة بكل من واضعه وراويه والعامل به ، وقد حاول استيفاء ذلك كله في الباب الأول ، ولذا جاء في ثلاثة فصول :

الفصل الأول :في التعريف بالوضع ، وبيان الألفاظ المستعملة فيه ، وعلى من يطلق المحدّثون وصف الكذب .

الفصل الثاني : في وقوع الوضع ونشأته وأسبابه وما يثبت به .

الفصل الثالث :في أحكام تتعلق بالوضع من حيث حكمه وروايته والعمل به .

وقد تمخض عن هذه الدراسة قواعد ونظريات حاول ضبطه وحصره .

المسألة الثانية :

وقد حاول أن يبرز في هذه المسألة المنعرجات التي سلكها الكذابون والطرائق التي تتبعوها في محاولتهم للدخول بها إلى صفوف الحديث ، واقتحام قلاعه وجنباته وكذلك الوسائل التي استخدموها للوصول إلى غرضهم وأهدافهم ، محاولا التعرف على الكيفية والهيئة التي يمكن الوقوف بها على الموضوعات ، مستخدما في ذلك تطبيق القواعد والنظريات ، ولما كان الكلام عليها يتطلب النظر في الأحاديث الموضوعة والوقوف على رواتها ، فقد أفرد لكل بابا خاصا .

فالباب الثاني لمعرفة الموضوعات .

والباب الثالث لمعرفة الوضاعين .

وتطلعا لاستيفاء البحث ، وإبرازه في صورة متكاملة ، قسم الباب الثاني وهو ما يتعلق بمعرفة الموضوعات إلى فصول ثلاثة :

الفصل الأول : في معرفة الموضوعات .

وحيث أن الكلام في معرفة الموضوعات متطرق إلى السند والمتن ، فقد جعله في مبحثين .

المبحث الأول : في كيفية الوضع في السند وتعرض فيه لتعريف السند ومكانته وضرورته وأهميته ، ونشأته ، ثم تناول طرائق الوضع فيه ، وختمه باعطاء صور من الوضع فيه .

والمبحث الثاني : قد خصصه لبيان معرفة الوضع في المتن . فأورد فيه تعريف المتن وكيفية وقوع الوضع فيه وأنواعها ، وصور من الوضع في المتن .

الفصل الثاني : عرض فيه لبيان مراد المحدثين من النسخ الموضوعة مع تعريف لها وذكر معجم بأسماء من نسبت لهم نسخا موضوعة ، ومراد المحدثين من وصف النسخة بالوضع .

أما الفصل الثالث : فقد حاول أن يجسد فيه قواعد المحدثين ونظرياتهم وتصوراتهم من الحديث الموضوع ، وقد اختار لذلك الأحاديث التي حكم عليها ابن الجوزي بالوضع وهي في أحد الكتب الستة ، وكان الدافع لهذا الاختيار هو حساسية هذه الأحاديث وتعدد اختلاف وجهات النظر فيها ومكانة الكتب التي جاءت فيها في نفوس العلماء .

أما الشق الثاني وهو ما يتعلق بالوضاعين ، فقد أفرد له الباب الثالث من الرسالة ، وتبعا لتعدد جوانب البحث فيهم فقد قسم الباب أيضا إلى فصول ثلاثة :

الفصل الأول : في الرواة المتفق في الحكم عليهم بالوضع . ونظرا لأن الرواة قد أتوا بما حكم عليه المحدثون بالوضع ، واتفقوا على أن ما ورد عنهم هو مما أضيف إلى النبي ﷺ مما لا تصح نسبته إليه ، فقد تكشف لهم أن الرواة في ذلك لم يكونوا سواء ، حيث وجد منهم المتعمد القاصد ، كما وجد فيهم من جرى على لسانه دون قصد ، حمله على ذلك الخطأ أو الغفلة لذا فقد قسم الكلام فيهم إلى مبحثين :

المبحث الأول : في الرواة المتعمدين للكذب ، القاصدين للوضع ، ونبه فيه على أنواعهم والأغراض التي استهدفوها والطرائق التي سلكوها .

المبحث الثاني : عرض فيه الرواة الذين وقعوا في الكذب دون قصد أو تعمد بل جرى على ألسنتهم . مبينا الأسباب والدوافع التي أوقعتهم في ذلك .

أما الفصل الثاني : فقد تناول فيه الرواة الذين كان لعلماء الجرح والتعديل وأئمة النقد في الحديث فيهم أخذ ورد حيث اختلفوا في الحكم عليهم بالكذب ، ورميهم بالوضع مستهدفا من ذلك بيان مواقف العلماء من هذا الصنف كاشفا عن مدى حساسية معاييرهم ودقتها .

وأما الفصل الثالث : فقد كان بمثابة التطبيق لقواعد المحدثين ونظرياتهم في رمي الرواة بالكذب أو تبرئتهم منه ، وقد رأى أن خير مجال لتطبيق تلك النظريات الرواة الذين انتقبت مروياتهم ، وحظيت بالاشتغال بها أكثر من غيرهم ، ويعني بها رواة الكتب الستة فذكرهم مرتبين على حروف المعجم مبينا ما لهم وما عليهم .

المسألة الثالثة :

إبراز دور أئمة الحديث وعلمائه ، والإفصاح عما بذلوه من جهد وما صادفوه من عناء في سبيل القضاء على الأحاديث الموضوعة ، ومقاومة الوضاعين وكشف ألاعيبهم ، وإظهار زيفهم ، مما أعاد الثقة الكاملة لحديث رسول الله ﷺ بعد أن تزعزعت بفعل هؤلاء الوضاعين ، وصنيع هؤلاء المبطلين ، وقد وفقوا رحمهم الله في ذلك أيما توفيق ، فرأى من المناسب إظهار

هذا الدور وإعطاء القارىء صورة ناصعة عن موقف هؤلاء الأئمة الكبار ، وتحملهم في سبيل الحفاظ على حديث رسول الله ﷺ ، نقيا مصفى ، حيث ختم بهم الرسالة . وقد جاء الباب الرابع مفردا للكلام عليهم ، تحت عنوان جهود العلماء في مقاومة الوضع . وقد تناول هذه الجهود في فصلين :

الفصل الأول : في الجهود الوقائية من العلماء وفي مقاومة الوضع ، فأشار فيه لمدى بعد نظر النقاد رحمهم الله من حيث إدراكهم لمكانة حديث رسول الله ﷺ ومنزلته ، ومعرفتهم بالمنافذ التي قد يتسرب منها الكذب إلى حديث رسول الله ﷺ ، ومحاولتهم ، بناء على ذلك ، وصد كل سبيل يتطرق منه الكذب وذلك بمنعهم من الرواية عن الضعفاء وأهل البدع والأهواء والقصاص وأضرابهم وغيرها من المسالك التي استهدفت تجنب حديث رسول الله ﷺ من تطرق الكذب إليه ، أو احتمال إلصاق الموضوع به .

الفصل الثاني : أفرده لعرض جهود العلماء العلاجية في مقاومة الوضع حيث أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الكذابين الوضاعين بل أنهم واصلوا السير في رد كذب هؤلاء وزيفهم بشتى الطرق إما بالامتناع من الأخذ عن الكذابين أو بكشف أحوالهم وإظهار أمرهم أو بتعنيفهم إذا اقتضى الأمر ذلك . وخاتمة المطاف هو التأليف فيهم وتخليد أسمائهم بما يشينهم في العاجلة ، ويبقى شاهدا عليهم في الآجلة .

ثم ختم الرسالة بذكر خاتمة لهذا المطاف حاول فيها إظهار أهم النتائج التي انتهى إليها البحث .

المكتبة والبحث لحشمت قاسم

محمد إبراهيم سليمان

قاسم ، حشمت / المكتبة والبحث . ــ القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٣ ، ٢٥٦ ص .

من الظواهر المبشرة في العالم العربي ما نلحظه من اهتمام متزايد بالمكتبات ومرافق المعلومات ، باعتبارها من أهم مقومات البحث العلمي . وتتخذ محاولات اكساب الباحثين القدرة على التعامل الفعال مع المكتبات ومصادر المعلومات أشكالا عدة ، تتمثل فيما توفره المكتبات ومرافق المعلومات من خدمات ارشادية ، وما يصدر عنها من أدلة تعرف بمواردها وإمكاناتها ، وما تنظمه المكتبات الأكاديمية من جولات للطلبة الجدد بين أرجائها ، وما يوفره منتجو الخدمات الوراقية المتطورة من امكانات تدريبية خاصة ، وما تتبناه الجامعات والمعاهد من مساقات دراسية .. الخ .

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يهدف إلى اكساب الباحثين القدرة على التعامل الفعال مع المكتبات وما يقع بين أيديهم من مصادر المعلومات . ومؤلف الكتاب هو الدكتور حشمت قاسم أستاذ علم المكتبات والمعلومات المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وصاحب الاسهامات الوفيرة ــ تأليفا وترجمة ــ من أجل ترسيخ أسس هذا العلم في العالم العربي .

وإذا نظرنا إلى محتويات الكتاب نجد أنه يحقق الكثير من الأهداف التي رسمها المؤلف . فالفصل الأول عبارة عن تعريف بأهم مؤسسات ومرافق المعلومات ، والتي تقوم بعمليات التجميع والتنظيم والتجهيز والبث للمعلومات . ومن هذه المؤسسات والمرافق : المكتبات المدرسية ، والمكتبات العامة ، والمكتبات القومية ، والمكتبات الجامعية ، والمكتبات المتخصصة ، ومراكز التوثيق ، وبنوك المعلومات ، ومراكز تحليل المعلومات ، ومراكز الإرشاد .

ويناقش الفصل الثاني القراءة والحاجة إلى المعلومات ، حيث يعرف مفهوم القراءة الفعالة والتي تنطوي على أربعة عناصر

هي : الإدراك والاستيعاب والاستجابة والتمثل . ويقسم القراءة وفقا لأهدافها وطرق ممارستها إلى أربعة أنماط رئيسية وهي : القراءة الترويحية أو الترفيهية ، والقراءة لأغراض البحث عن حقائق معينة ، والقراءة لأجل الاستيعاب ، والقراءة النقدية . وفي مجال أنماط الإفادة من المعلومات يعرض هذا الفصل لاحتياجات فئتين من المستفيدين من المعلومات وهما : فئة الباحثين وفئة المؤلفين والكتاب . ويؤكد في هذا المجال على دور المكتبات بكل أنواعها في توفير متطلبات تلبية هذه الاحتياجات .

أما الفصلان الثالث والرابع فيتعرضان لمصادر أو أوعية المعلومات ، حيث يقسمها المؤلف إلى ثلاث فئات أساسية من وجهة نظر المستفيدين منها ، وهي : أوعية أولية : وهي تلك الوثائق أو السجلات التي تشتمل أساسا على المعلومات الجديدة أو التصورات أو التفسيرات الجديدة لحقائق أو أفكار معروفة . ومن نماذج هذه الفئة : التقارير الأولية للدراسات والبحوث العلمية ، وتقارير البعثات العلمية والرحلات الاستكشافية ، ومخرجات أجهزة الرصد الثابتة والمتحركة ووسائل الاستشعار بكل أشكالها ، والأطروحات الأكاديمية ، ومقالات الدوريات المتخصصة ، وتقارير البحوث ، وأعمال المؤتمرات ، والمطبوعات الرسمية ، وبراءات الاختراع ، والمواصفات القياسية ، وكتالوجات المنتجات الصناعية ... الخ .

أما الفئة الثانية فهي الأوعية الثانوية . وهي تشمل تلك الأوعية التي تعتمد في مادتها على الأوعية الأولية . وعادة ما تتركز في التجميع والتبسيط والتلخيص والتركيز وربما الترجمة ، بهدف تقديم المعلومات بشكل مناسب لفئات معينة من القراء والمستفيدين . ومن أمثلتها الكتب التمهيدية والدراسية والمرجعية ونشرات الاستخلاص والكشافات والمراجعات العلمية .

أما الفئة الثالثة فهي أوعية الدرجة الثالثة . وهي لا تقدم معلومات أو معارف مباشرة وإنما تقدم مفاتيح للوصول إلى هذه المعلومات والمعارف من خلال الأوعية الأولية والأوعية الثانوية . ومن أمثلتها أدلة الموارد البشرية وأدلة الهيئات والمؤسسات وأدلة المكتبات .

ويدور الفصل الخامس من الكتاب حول تنظيم مقتنيات المكتبات باعتبارها مستودعات لمصادر المعلومات ، ويبدأ بأهم هذه المصادر وهي الكتب ، فيتحدث عن ترتيب الكتب على الرفوف أو تصنيفها . وأهم خطط التصنيف وأكثرها انتشاراً هما خطتي تصنيف ديوي العشري ، وتصنيف مكتبة الكونجرس . وبينا تصلح الخطة الأولى للمكتبات المدرسية والمكتبات العامة الصغيرة أساساً ، نجد الخطة الثانية أكثر ملاءمة لتصنيف مقتنيات مكتبة ضخمة . ويرتبط بالتصنيف عملية الفهرسة ، وهي تتكفل بإيجاد المفاتيح اللازمة للتحقق من هوية الكتاب . ومن أهم أنواع الفهارس : فهرس المؤلف وفهرس العنوان وفهرس الموضوع والفهرس المصنف . ويختتم هذا الفصل بالحديث عن ترتيب المواد غير الكتب مثل الصحف والدوريات والنشرات والمخطوطات والمصغرات الفيلمية والمسجلات السمعية والبصرية .

ويناقش الفصل السادس الخدمات المكتبية والمتمثلة فيما يقدم للقراء والباحثين من خدمات مباشرة تتنوع بتنوع المكتبات ذاتها . وقد تم تقسيم هذه الخدمات إلى سبع فئات رئيسية هي : الخدمات الإرشادية ، والخدمات الدراسية ، وخدمات الإعارة وبدائلها ، وخدمات الإحاطة الجارية ، والخدمات الجماعية ، وخدمات الفئات الخاصة ، والخدمات غير القرائية .

أما الفصل السابع والأخير فيعرض لبعض المراحل أو الخطوات التي يمر بها البحث العلمي حيث يعرض لعناصر ثلاثة أساسية : العنصر الأول : استعراض الجهود السابقة أو استعراض الإنتاج الفكري المتصل بالموضوع ، حيث يحدد خطوات هذه المهمة مبينا دور المكتبة في ذلك . والعنصر الثاني : هو تدوين المذكرات ، حيث يلجأ الباحث إلى الإنتاج الفكري للحصول على معلومات لأغراض المقارنة أو المناقشة أو التفسير . ومن الضروري هنا تمييز العبارات التي يقتبسها الباحث ووضعها بين أقواس . أما العنصر الثالث فهو الاستشهاد المرجعي ويتخذ ثلاثة أشكال : الشكل الأول هو الإشارة إلى المصدر في النص ، أما الشكل الثاني فهو الإشارة إلى المصدر في حاشية وراقية ، والشكل الثالث هو تجميع المصادر المستشهد بها في وراقية موحدة ترد في نهاية كل فصل من فصوله .

وفي ختام هذا العرض المختصر لمحتويات الكتاب نود ذكر الملاحظات التالية :

١ — إذا نظرنا إلى محتويات الكتاب لا نجد أنها تتطابق تماما مع العنوان الذي اختاره المؤلف « المكتبة والبحث » فالكتاب مكون من سبعة فصول : ستة منها عن المكتبات

ومراكز المعلومات بصفة عامة من حيث أنواعها ، والحاجة إلى المعلومات ، ومصادر المعلومات ، وتنظيم المقتنيات ، والخدمات . وفصل واحد فقط عن البحث والتوثيق . والفصول الستة الأولى عامة — في محتواها ومعالجتها — وموجهة لجميع القراء في المكتبات ، وليست للباحثين فقط . والمعالجة الموضوعية لفصول الكتاب توضح ذلك أكثر . فعند الحديث عن أنماط القراءة جاء الجزء الخاص بالقراءة الترفيهية في نفس مساحة الجزء الخاص بالقراءة للحصول على حقائق معينة ، وكذا الجزء الخاص بالقراءة النقدية . وعند التعريف بالمكتبات جاء الجزء الخاص بالمكتبة المدرسية في نفس المساحة تقريبا للجزء الخاص بالمكتبة المتخصصة ، وكذا الجزء الخاص بالمكتبة العامة جاء في نفس المساحة تقريبا للجزء الخاص بمركز التوثيق .

ونلاحظ توسعا كبيرا في الحديث عن خطة ديوي العشري — مع أنها ليست أفضل الخطط بالنسبة لمكتبات البحث — وفي نفس الوقت لا نجد تعريفا بكثير من الخطط الأخرى الصالحة لمكتبات البحث .

٢ — هذه « العمومية » في معالجة الموضوع أدت إلى عدم التركيز على دور المكتبة في خدمة الباحثين بطريقة أكثر فعالية . وربما كان من الأجدى بالنسبة للمؤلف أن يعالج الموضوع على أساس قطاعات من الباحثين — حسب تخصصاتهم مثلا — أو على أساس نوعيات من الخدمات التي تقدمها المكتبات للباحثين .

٣ — بالنظر إلى محتويات الكتاب ومعالجته الموضوعية ، يمكن أن يكون العنوان أكثر دقة وتحديدا لو أصبح كالتالي : « دليل استخدام المكتبة » أو « موجز إرشادي لاستخدام المكتبة » .

ولكن هذه الملاحظات لا تقلل كثيرا من قيمة الكتاب في خدمة الباحثين والقراء ، وخاصة أنه تميز بسهولة الأسلوب وبساطة العرض ، وعدم الاقتصار على التناول النظري ، وإنما كثيرا ما يورد النماذج والأمثلة التوضيحية التي تيسر الفهم والاستيعاب . فهو لا يقتصر مثلا على التعريف بأنواع المصادر المرجعية وإنما يورد قوائم بأسماء العديد من هذه المصادر مثل : الموسوعات العربية ، الموسوعات الأجنبية ، معاجم المفردات ، معاجم المعاني ، معاجم النطق ، معاجم الألفاظ العامية ، معاجم التعبيرات ، معاجم النصوص ، معاجم الدخيل والمستعار ، معاجم الألفاظ المهجورة ، المعاجم المعيارية ، المعاجم متعددة اللغات ، معاجم التراجم ، الأطالس العربية والأجنبية ، أدلة الهيئات والمؤسسات ، الموجزات الإرشادية ، كتب الحقائق ، الوراقيات .. الخ . ولكن يؤخذ على المؤلف أنه في بعض الأمثلة والنماذج اقتصر على ما هو أجنبي دون أن يذكر ما يقابله باللغة العربية — مجال اهتمام الباحثين قراء الكتاب — وعلى سبيل المثال ما ذكره من نماذج لكتب الحقائق ، وما ذكره من قائمة لأهم المختصرات الأجنبية المستخدمة في الحواشي الوراقية دون ذكر لمقابلاتها العربية .